موسم الهجرة إلى الياسمين

مجموعة قصصية

الكاتب

معتز هاني

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 20254/ 2018

I.S.B.N: 978-977-6642-32-4

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد.

المراجعة اللغوية: أميرة أسامة.

الإخراج الداخلي: ضياء فريد.

المديـــر العـام: إيناس ناصر.

المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

Logarithpublish@gmail.com

01281052824

عرفت الغرام في بانجلا رود

الحساء الجبراني اليوم يختمر في معدتي.. لا أحب أبدًا أن أبدأ يومي بهذه النظرة للعالم.. أخاف أن أعشق.. أعرف أن في هذه الأيام التي أستقبلها بهذه النظرة المستبشرة أني سأكون مهيئًا للحب.. وأنا أكثر ما يخيفني أن أقع فيه من جديد.

«**بيير**» هذه الفتاة هي ما كان ينقصني لأسمع شهقة العالم وأشعر بها خلف قفصي الصدري.. لكم عشقكم ولي عشق.. فأنا أعشق كما يعشق الرجلان منكم.. أنا لا أكذب ولكن هذه هي الحقيقة الوحيدة التي أدركها جيدًا عن نفسي.. عن ظهر عشق!

«**بانجلا رووود**» شارع الرذيلة في تايلند.. وللكتاب هو شارع الحكايات.. وللعشاق هو شارع القلوب المزهرة.. تقف الفتيات في صفوفٍ في انتظار من يدفع ويكرم ويبحر في سفن العسل.. تنادي وتغمز وتصرخ وتعرض بضاعتها بشكلٍ جائر أحيانًا حتى للراغبين في المتعة.. كيف اقتحمتي عالميَ يا «**بيير**» وسط هذا الجنون؟، كيف استطعتي أن تهزي إيماني بالحب الأول.. كيف استطعتي أن تغيري الكثير من نظرياتي عن الحياة والحب بنظرتك الأسيوية القاسية؟

أحاطت بي خمس فتيات في السوقِ المتفرع من الشارع.. تقول لي إحداهن «**تعال لتشاهد ما عندي.. هل تريد أن تستمتع الليلة؟**»!! لا أعرف حقًا هل أريد ان أستمتع أم أحب.. أنا في وضع «**العشق**» الآن كما لو كنت أحد الهواتف وتركوني في «**وضع العشق**»!!

قلتُ في نظرةٍ باسمة: كم الثمن؟

قالت وهي تتغنج: كم تريدني؟ ساعة؟ ٢ ؟ ٣ ؟

- أريد امرأة لأتذكرها عمرًا كاملًا.
- لست أنا من هذا النوع.. فلتبحث عنها.. أنا لليلةٍ فقط.. ابحث عن عمرك في مكانٍ آخر.. وليس في بانجلا رود.

أشاحت بيدها لزبونٍ آخر.. إنها تبحث عن المتعة الليلية وأنا أبحث عن لذةِ العمر.. لن نلتقي أبدًا.. مهما قالوا لك صدقني هناك أشياء وأشخاص لا يمكن أن يلتقوا أبدًا في وسط الطريق.

خرجتُ من الشارعِ بيأسٍ وكرهٍ للغةِ الأرقام.. أنا أريد لغة الحب وهم يتحدثون بعملتهن.. أنا أريد متعة الذكرى.. أريد امرأة أتذكرها لسنواتٍ قادمة.. أريد امرأة أعاهدها ولو على وهم.. أريد امرأة أرسل لها رسالةً بأنني مهتم بها وأنني أفقتدها الآن في وحشةِ الليل والمطر.. لا أعرف كيف أجدها في بلدةٍ مثل «**تايلند**».. إنها بلدٌ للعشق المدفوع!!

مئات من المحلات للمساج والمتعة اللحظية.. يجذبونك جذبًا إلى الداخل.. ينادون ويصفقون ويتاجرون بلغةِ الأعين والأكتاف التي لا تلقي بالًا للقلوب ولكن للنظراتِ الجائعة.. ينادي الرجل خلفي ويقول بالانجليزية:

ـ حفلة القمر الكامل.

قلت: بكم التذكرة؟

ـ هل أنت وحدك؟

أثارني السؤال وقلتُ في حيرةٍ: لا أعلم بعد.. لا أظن أن الوحدة ستطول يا سيدي.. أشعر باقترابٍ نذير.. حسابُ عشقٍ قريب سيطرق بابي الآن.

ابتعد عني الرجل وهو يُحدِّث نفسه ويهمس بالتايلاندية.. أظنه يسبُّني ويقول أنني مجنون.. وهذا ما يظهر من نظرته.

الوقت يمر.. الساعة الآن الرابعة عصرًا.. ما زلت أسير في الطرقاتِ والشمس تغيبِ أحيانًا وتظهر أحيانا من خلفِ سحابٍ رقيق وكأنه يبتسم.. أُشكِّل السحاب حسب رغبتي كما يلهو الأطفال فأقول: «**ها هو الآن على شكل قلب، أو على شكلِ امرأة..** » ولكني أراه الآن يبتسم.

أشعر باقترابه.. أشعر بأبياتِ شعر طاغور حين يقول:

إن المعلوم في هذا الكون.

يلعب مع المجهول لعبة التخفِّي.

والمعلوم حولي هو بنات الليل، بينما المجهول هو حبٌ منتظر.. حبٌ أريد أن أخلقه بيدي لو لم يأتِ طواعيةً.

لا جديد حولي.. عدتُ إلى مكان إقامتي لأنتظر حلول فجرٍ آخر جديد.. عدتُ وحيدًا أنظر من شباكي إلى زبائنٍ يقطفون يرقات شباب.. نساء وقفت في طابورِ عرضٍ لاهب وعاصف بالرغبةِ وأقول لنفسي «**انتظر الحب**».

في اليوم التالي خرجتُ هائمًا على وجهي ووقف الرجل الذي قابلته بالأمسِ **يقول مرةً أخرى بصوتٍ أعلى:** صدقني ستحب حفلة القمر الكامل.

تجاهلته وسرتُ عدة كيلومترات دون أن أشعر هائمًا على قلبي.. حتى وجدتُ امرأةً تبتسمُ لي من بعيدٍ ثم تلتفت إلى الجانب الآخر.. إنها لم تطلب مني شيئًا.. لقد ابتسمت ابتسامةً صادقة.. سحرتني عيناها من أولِ نظرة.. نعم أريد أن أخلق الحب.. إن القلوب تصدأ كما المعادن؛ فحافظوا على قلوبكم بالحبِ ولو مؤقتًا.. بالإعجابِ ولو سيزول.. بالعاطفةِ ولو كاذبة.

دخلت إلى المكان وقابلتني امرأةٌ طاعنة في السنِ أظن أنها صاحبة المكان.. **قالت لي:** أهلًا بك في «**سالا**» هل أعجبتك إحداهن بالخارج؟؟ هل تريد من تريح لك ظهرك؟

ـ نعم.. ولكن لا أعرف أين هي لقد رأيتها في الخارج واختفت.

ـ ابحث عنها خلف هذه الستارة.

فتحتُ الستارة بيدي؛ لأجد النساء صفًا صفًا وكلٍّ حسب رقمه، وعليَّ أن اختار أين أجد راحتي.. عرض جمال يقسم قلوب الرجال ويصعقهم ويبرقهم ويرعدهم.. شعرت بأن هذا البيت الشعري ينطبق عليّ «**شيَّبَتني.. شيبت حتى صبايا**»!!

تجولت في العيونِ والأبصار.. صدمتُ ألف نظرةٍ وأنا لا أحيد عن طريقي أبحث عنها.. تلك البوذية الرقيقة.. أغلبيتهن من البوذيات.. وقلبي الآن محاصرٌ بالتعاليمِ والفضائل الأبدية وسأصل معها إلى النيرفانا.

رأيتها تحمل رقمًا هناك في الخلفِ.. أشرتُها.. أتت إليَّ مبتسمة وتنظر مباشرةً إلى عينيَّ بلهفة.. أشعر أن هناك ثمة إعجابٍ متبادل.. ربما ملامحها الآسيوية قد لاقت هوى ملامحي الشرقية العربية واندمجنا في عولمةِ قلبٍ واحد!

دخلنا خلف ستارٍ منقوش يفصل كل زبونٍ عن الآخر.. قالت لي برقةٍ: هل تريد أن تشرب شيئًا؟

ـ القليل من الماء.

خرجت مسرعةً وأتت بالقليلِ من الماء وجلست بين يديَّ تنظر إلى الأرض ويداها تُشيران إلى علامةِ الطاعة الأسيوية وكأنها تتعبد لي.. كم هو جميلٌ إحساس أن تجلس بين يديك امرأة بهذا الشكل.. تنتظرك حتى تنتهي من الماءِ وهي منحنية أمامك.. إنها ليست عبودية ولكنها طاعة أنثوية رقيقة وحنونة.

بدأت تضرب بيديها على ظهري وتقول: هل تشعر بالراحةِ الآن؟

ـ أشعر براحةٍ لك مذ رأيتك في الخارج.

ـ وأنا أيضًا صدقني ولا أعرف لماذا؟، هل تريد الصعود لأعلى لنأخذ راحتنا أكثر؟، لن تدفع أكثر كما هي العادة ولكنني ارتحتُ لك.

ـ دعينا نُكمل حديثنا هنا يا عزيزتي..

ربتُّ على شعرها ووضعتها بين أحضاني وهي تنظر إلى ملامحي وكأنها تقول لنفسها: من أين أتيت أيها الشرقي لتُغيِّر عالمي؟

قلتُ لها: هل تعرفين أنني معجبٌ بكِ؟

ـ هل لديكَ أسرة؟

ـ لا لست متزوجًا.

ـ هل تأتي إلى هذا البلد للمتعة؟

ـ لا أتيت بحثًا عن العشق.. عن شهوة قلبي لا جسدي.

حضتنتي أكثر حتى اعتصرتني وهي تُقبِّل رأسي وكأنها تشعر نفس ما أشعر بهِ.. إنها تُريد أن تعشق وتُعشق ولو قليلًا.. تُريد أن تخرج من دائرةِ الجسد إلى دائرة الغرام.. لقد أثارها كلامي بشكلٍ واضح.. كان الوقتُ يمر.. مرَّت أول ساعة.

وقالت صاحبة المكان: لقد انتهى الوقت هيَّا.. أم تريد ساعة أخرى؟؟

قلتُ لها أنني أريد ساعةً أخرى وسأدفع تكلفتها.. مرت الساعات.. بدأ الحديث حولنا من خلفِ كل ستارةٍ والهمس حول عدد الساعات التي نقضيها معًا وهي تُترجم لي **وتقول:** إن زميلاتي يتحدثن عنك وعن عدد الساعات التي قضيتها بين أحضاني وهن متعجبات لماذا لم نصعد إلى الأعلى مباشرة توفيرًا للمال.

ابتسمتُ وضممتها إلى صدري **وأنا أقول:** أنا الآن بدون الصعود إلى أعلى.. في أعلى مكانٍ في العالم.. أنا على قمةِ العالم يا صديقتي وأنا أنظر إلى عينيكِ وأشعر بحاجتكِ لمشاعرٍ صادقة.

أشعر بنشوةِ المكان والزمان والقلب الوحيد.. مرت سبع ساعات كاملة.. **قالت لي وهي تضحك:** إنه رقم قياسي في هذا المكان منذ افتتاحه هكذا تقول المديرة.. ٧ ساعات وأنت بين أحضاني ولا نمارس الجنس في الأعلى.. إنها متعجبة.

شدت صديقتها إحدى الستائر فجأةً ونظرت وقالت: لماذا لا تصعدوا إلى الغرفة العلوية.. أنا أرى أنها تعجبك بشدة.

قلت لها: لأننا سنخرج بعد قليل.

تعجب الجميع من ردي وسألتْ حبيبتي المؤقتة بجواري: سنخرج؟؟ حقًا؟؟ هذه لم تحدث من قبل.. هل سنخرج إلى الفندق تقصد؟

ـ لا.. سنخرج معًا إلى الشاطئ.. إلى القمر الكامل.

كان الهمس يزداد في المكان حتى المديرة لا تصدق أنني سأدفع أيضًا ثمن خروج فتاتها لنتجول فقط في الخارج لعدة ساعات.. كانت متاكدة أننا سنمارس الجنس.. من المستحيل أن أفعل كل هذا وأنا لا أريد الجنس.

حينما خرجنا من خلفِ الستارة الحمراء شعرنا بحُمرةِ خجلٍ لذيذة؛ حينما صفق باقي الفتيات لنا.. كان المكان كله يصفِّقُ على هذا الرقم القياسي في المكان.. ٧ساعات متتالية من الحب المؤقت..!

خرجنا من المكان كانت تُحضِّر حقيبتها بلهفةٍ وتضع القليل من «المكياج».. كانت لا تصدق أننا في موعدٍ حقيقيّ خارج مكان العمل.. خرجنا إلى الشاطئ وأخذنا دراجة بخارية للتجول في الشوارع، وقابلت الرجل مرة أخرى **وهو يقول:**أظنك تريد الآن تذكرة إلى القمر الكامل أليس كذلك؟

حجزت تذكرتين وذهبنا إلى الحفلةِ الليلية حينما اكتمل القمر على شاطئ البحر وسط رقصٍ هيستيري من الجميع حولنا على أنغام موسيقى «**تيستو**» و «**أرمن فان**» وغيرهم من الموسيقيين العالميين.

كانت تحتضنني بشدةٍ وتقول لي «**لا تذهب.. سيمر الوقت وستذهب.. أرجوك لا تذهب.. أنا أحتاج وجودك في حياتي**».

قلت لها دامعَ العينين: وأنا أحتاجك ليكتمل وجودي.

ظلت تداعبني بأنفها الدقيق وتُقبِّلني وتمسح دمعتي بيديها وأنا أمسح دمعتها.. هي تحتاجني لتخرج من روتينها وانعدام العشق في مكانِ العمل وأنا أحتاجها لأتوحَّد بها مع العالم خارج إطار وحدتي وحزني.

رقصنا حتى الصباح وعدتُ بها إلى مكانِ عملها وسط ابتسامات وهمس المكان.. **قالت لي المديرة:** هل أعجبتك الليلة يا عزيزي؟

ابتسمتُ لها وأنا أودع صديقتي «**بي**».. اسمها الذي قالته لي بعد ساعاتٍ من حديثِ الشجن.. لقد نسيت في البداية أن أسالها حتى قالته لي فجأة.. «**اسمي بي**».

عادت مرة أخرى إلى يونيفورم المكان.. كانت حزينة وهي تخلع ملابس الخروج التي حررتها قليلًا من حياتها المعتادة.. لقد خرجت مع رجلٍ إلى العالم.. رجلٌ تعجبه ويعجبها.. ولا يعرف أحدهما ما السِّر وراء كل هذا.. كيف اقتحم كيوبيد هذا المكان المليء بضجةِ الجنس وطحن العظام الملتهبة من الرغبة؟

قبَّلتُ يديها أمامهن جميعًا وقلت لها «**سأراكِ مرة أخرى.. صدقيني بيننا حكايات لم تكتمل.. ولا أعرف حتى كيف ستكون نهايتها.. ولكن ما أعرفه الآن أنكِ من أجمل حكاياتي يا «بي»** وستبقين كذلك ولن أنساكِ.

لم تتمالك دموعها.. بكت.. لأولِ مرةٍ يرى الجميع من زميلاتها دموعها العزيزة.. احتضنتني أمامهن ولم تبالِ.. قبلتني قبلة أخيرة وقالت «**سأفتقدك كل يومٍ.. وكل لحظةٍ يا عمري الأجمل.. وحياتي القادمة**».

حينما عدت إلى الفندق وكنت أجمع متعلقاتي كنت أشعر أنني ألملم طريقي إلى الحزن والوحدة مرة أخرى.. أنا أريد البقاء.. أريد أن أهرب بين ضلوعها مرة أخرى.. أريد أن ألجأ إلى صدرها وأهاجر إلى حياتها وأهجر حياتي.. لا أعرف ما الذي حدث لي.. أرسلت لي على برنامج «**الشات**» أنها تفتقدني من الآن.. وستفتقدني حتى أعود بعد شهور.. كنت أشعر بالوحدة.. إنها تزلزل روحي بمقياس ٣٠ ريختر العشقي.

صالة المغادرة في المطار.. في اليوم التالي.. جلست أنظر إلى «**جواز السفر**» ولا أعلم أين سأسافر.. هل سأسافر إلى بلدي أم أنني أهجر عالم العشق؟؟،كان الرجل الذي يبيع لي تذكرة القمر الكامل في المطار.. ما هذه الصدفة.. أقسم أنني رأيته ثم لم أجده خلفي.. هل كنت أتخيل هذا الرجل؟؟

حينما عدت إلى بلادي وجدت استقبال الناس لذويهم وسمعت جملة جد يقول لحفيدتهِ «**زي القمر ما شاء الله**».

تذكرت بكلمتهِ «**القمر الكامل**».. حفلة القمر الكامل.. رقصتها ونشوتها وحبها لي وحنانها ودموعها ونظرتها التي تلومني أحيانا ومداعبتها بأنفها ببراءة.. ومنذ هذا اليوم وأنا أنظر إلى القمر كل مساء.. أنتظر العودة.. أنتظر العودة إلى «**بي**» مرة أخرى.. وأريد أن يقابلني ولو صدفة من خلف ظهري الرجل الذي قال ذات يوم «**هل تريد تذكرة؟؟**».

نعم أريد تذكرة إلى جنتي يا «**بي**» فلا تبخلي بها علي.. يا صديقتي الأبدية.. يا صاحبة الـ ٧ ساعات.. سأعود ذات يوم.. وسنتقاسم القمر الكامل.. لا أعرف متى ولكني حتمًا سأعودً.. لأن حياتي أصبحت هناك.. خلف معبد عينيها!

لوحات على رصيف الوداع

أقف الآن أمام قبره.. هل عرف الآن المعنى الحقيقي للفراق؟، هل اكتملت الآن لوحته بفعل القدر؟، لا أعرف.. رحل الجميع الآن وبقيت وحدي أفكر في كلماتٍ أضعها فوق قبره.. وفكرت أن أكتب جملة واحدة بخطٍ صغير جدًا..

وبدأت في كتابتها وهي «**قبر العاشق المجهول**»!

تبدأ الحكاية منذ سنواتٍ طويلة في أحد الجلسات الثقافية في مقهى في الحُسين حيث بدأ «سامر» صديقي في جاد الله حديثه المعتاد معي حول دور الفن وخصوصًا حول القصص والروايات:

سامر: يا أخي طيب ما احنا لازم برضو ننقل الواقع للناس.

أنا: ممكن برضو بالخيال وما تنكرش إن الروايات الخيالية أجمل من الواقعية وفيها إبداع أكبر.

سامر: طيب خد مثالك من الحياة.. اللي انت شايفه قدامك هو الواقع.. كل الجمال دا هو الواقع، بينما الخيال ما نقدرش لسه نحكم عليه.

أنا: أرسطو أما اتكلم عن نظرية التطهير بالفن كان المهم الفن في ذاته.. مش هايشترط عليك إن الفن يكون واقعي أو خيالي.. وبعدين أكيد اللي لسه ماشوفتهوش أجمل ودا دليل على دور الخيال، دا حتى ربنا وعدنا بالجنة اللي هي محدش يقدر يتخيلها أصلًا.. يعني الجنة نفسها وهي المتعة الكاملة مش واقع بل لهفة ومتعة انتظار.

سامر: لكن الجنة بتيجي في الآخرة وانا بتكلم عن جمال الدنيا.. الجمال واقع وملموس.

أنا: الجمال خيال لكن محسوس.

سامر: طيب ودُور الكُتَّاب اللي بيحاولوا يحلوا قضايا المجتمع؟

أنا: مافيش مانع من الأعمال الواقعية اللي بتطرح قضايا ومشاكل المجتمع مع الأعمال الإبداعية الخيالية وممكن مزج الاتنين مع بعض لطرح قضية.

سامر: شوف إحنا بقالنا سنين بنكتب وكتبنا قصص خيالية وواقعية لكن أنا بحب الواقعية أكتر.. المجتمع مليان بالقصص اللي ممكن يعجز عنها الخيال.

أنا: مستحيل.. الخيال هو اللي مليان بالقصص اللي مش هايوصلها المجتمع بخياله.

سامر: انزل أي مكان.. دور بين الناس.. شوف في قهاوي ومحطات قطر وسكك سفر قصص الناس وهاتعرف إن كلامي صح وان الواقع أقوى من الخيال.

أنا: طيب عشان خاطرك هانزل من بكرة وهاوريك إن الواقع كل قصصه مملة وان القصص والروايات المبنية على الخيال أقوى ألف مرة.

بعد هذا التحدي مع صديقي «**سامر**» هرعت كما قال إلى محطة قطارات وجلست على إحدى الدكك لعلي أستلهم فكرة قصة من أرض الواقع.. فلنرى ما سَيحنُّ علينا الواقع به يا سامر!

وجدت في محطة القطارات قصص صداقة وفراق وحب ومشاعر بين الإخوة والأهل وحتى صوت ضحكات الأطفال الذي كان يجلجل في جوانب المحطة.. حتى وجدته أمامي فجأةً.. رسام في عمرِ الخمسينات يقف في محطةِ القطار ويعرض على الناس رسم صورتهم مجانًا.. شكله يوحي بأنه ليس من الكادحين الذين يقفون بالساعاتِ في المحطة لعل القدر يُنجِّيهم مما هم فيه ويخرجهم من دائرةِ الأهوال والمشكلات الحياتية.. عرض عليَّ أن يرسمني فلم أهتم ثم وقف يُكمل لوحته وسط شجارٍ دار فجأة بينه وبين أحد الشبان في المحطة.

قال له وهو يصرخ ودموعه توحي بضعفهِ: إنت إيه يا أخي مش قولتلك مش عايز برضو بترسمني.. إنت ما بتفهمش.

الرسام: صدقني أنا مش عايز منك فلوس أنا برسم بس وبستمتع بالرسم.

قال «وهو يمسح دموعه من أثر مشهد فراق»: مش عايز اللوحة بتاعتك ومش هاخدها.

الرسام: طيب ممكن أحتفظ بيها أنا؟

قال: إنت أكيد مجنون.. أيوه مجنون فعلًا.

غادر الرجل وهو حزين وأنهى الرسام لوحته ووضعها بجوار لوحاتٍ أخرى وما زال الصندوق الذي أتى بهِ ليضع فيه الناس المال فارغًا تمامًا.. إنه هنا منذ الصباح ولم يحصل على قرشٍ واحد مقابل ما رسمه من لوحات.. قلت لنفسي هذا الرجل سر كبير.. قصة لابد أن أبدأ في فك شفرتها ولغز لابد من حله.

انتهى اليوم وجلستُ في اليوم الثاني على التوالي في المحطة.. لم يأتِ الرسام اليوم جلستُ أنتظر ساعات وساعات ولم يأتِ.. وحينما ذهبت في اليوم الثالث وجدته أخيرًا.. لقد حضر وبدأ فورًا في الرسم دون حتى أن يعرض على أحدهم أن يرسمه.. نظرت إلى لوحتهِ فوجدته يرسم شابة حسناء ذات جبهة هلالية وقسمات وجهٍ تبعث في نفسك السعادة والحبور؛ رغم دموعها الساقطة على وجهها كأن الملائكة في حفلةِ تزحلق على جليدٍ ضرب عالمها فجأة.

بدأ يرسم بسرعةٍ وبجنون وكأنه في حفلةٍ موسيقية والأوركسترا تزيد سرعتها تدريجيًا حتى وصل لذروةِ سرعته وأنهى اللوحة وكتب عليها «١٥» إنَّه يضع الأرقام فوق لوحاته كلها ثم يضعها بجواره إلى أن أتى أحد أمناء الشرطة إلى المحطةِ **وقال له:** إنت يا عم انت وقوفك هنا ممنوع.

الرسام: طيب مسموحلي أقف فين؟

أمين الشرطة: والله انت وشطارتك.

فهم الرسام ما يُلمِّح له أمين الشرطة من أنه يريد رسومًا نظير وقوفه هنا فأخرج من جيبهِ «**مائة جنيه**» وأعطاها له مما أثار تعجب أمين الشرطة وذهوله فهي أكبر «**رشوة**» أو كما يُسميها «**إكرامية**» تلقاها منذ فترةٍ طويلة وخرج من المشهد وهو يحاول أن يداري ذهوله من المبلغ ومن الرجل.

في هذه اللحظة قررت أن أراقب هذا الرجل، لابد أن أعرف كل قصتهِ اليوم.. خرجتُ وراءه خلسةً وهو لا يدري، وبدأتُ أترصده وضربتني عاصفة الدهشة حينما رأيته دخل إلى أحد حمامات المحطة ليخرج منها ببدلةٍ فخمة وساعة توحي بأنها من أغلى الماركات ويركب سيارته ومعه لوحاته ويغادر.. كان ينظر حوله بعنايةٍ ليرى أنه بعيدٌ عن الأعين.. ولبس نظارته السوداء وغادر المكان بسرعة..

من هو هذا الرجل؟؟

سيظل الناس نقوشًا غامضة فوق جدرانِ الحياة.. ومتى اكتملت نقوشهم اكتملت أسرارهم.. فهُم في حياتهم سرًا لم يكتمل وفي رحيلهم سرًا أتمَّ غموضه.. وفي الحالتين تظل حقيقتهم حبيسة صدورهم!

عرفتُ أنه أستاذ في جامعةِ القاهرة.. راقبتهُ عدة أيام وعرفت بيته وعرفت أنه يعيش وحيدًا ولا يخرج إلا لعملهِ في الجامعة ثم يخرج في أيام بعينها إلى محطةِ القطار.. ولكن في اليوم الرابع زادت دهشتيً حينما رأيته يذهب إلى ميناء جوي ويُعطي «**المناديل**» لمن يبكون في لحظاتِ الوداع.. إنه صديق كل مشاهد الوداع.. خلع بدلتَهُ القيمة وارتدى ثيابًا عادية جدًا وكلما رأى أحدهم يبكي بعد رحيل أهله أو أقاربه أو أحبائه ذهب وأعطاهم منديلًا يبكون فيه ويفجِّرون فيه شحناتِ حزنهم الجهنمية.

أصبحتُ أسير ورائه كما ظله حتى استوقفتهُ في يوم ما أمام بوابة الجامعة.. عرفَني لأنه قابلني مرة في محطةِ القطارِ.. شعر بالخجل.. **قلت له:** ممكن ترسمني؟

قال وهو ينكر في البداية: أرسمك؟؟ أنا.. أنا معرفكش وبعدين أنا ما بعرفش أرسم أنا أستاذ في الجامعة.

قلت: مافيش داعي تنكر نفسك أنا مراقبك بقالي أيام وشوفتك في المطار ومحطة القطر.

قال: إنت بتراقبني بقى دي مكانتش صدفة في المحطة؟

قلت: أنا مش براقبك لكن بعد أول مرة بدأت أراقبك.. ممكن نتكلم مع بعض شوية.

قال «وهو يُسرع»: أنا ما بتكلمش مع حد.. أنا ماعرفكش أرجوك أنا مش فاضي.

قلت: أرجوك.. ولو نشرب مع بعض فنجان قهوة.

بعد أن أقنعته جلسنا في أحد المقاهي بجوار الجامعة وبدأ يحكي لي كل قصته **وقال لي:** الحكاية بدأت من سنين طويلة من يوم فراقي مع «**مي**».. من بعد اليوم دا حياتي أصبحت مختلفة تمامًا.. بقيت بدور في وشوش الناس عنها وكل حلم ليا بيبدأ بيها وبينتهي بيها.. الفراق حالة حصار كاملة.. حصار ذكرياتك وحبك لحياتك كلها..

من بعد اليوم دا قابلت تلميذ عندي في الجامعة وكان حزين على قصة حب ما اكتملتش وساعتها طلَّعت دفتري بسرعة ورسمته.. وتعجَّبت جدًا لأني عمري ما رسمت قبل كدا.. إزاي الصورة ممكن تطلع بالجمال دا؟

بعدها أصبح الموضوع إدمان وكترت اللوحات في حياتي للناس ودموعهم وقصص حبهم.. بقيت بنزل بنفسي أدور على مشاهد وداع وارسمها وارسم شخصياتها.. بقيت بلاقي في دا راحة كبيرة وكأني بواسي نفسي بدموع غيري.. أو بحاول أقنع نفسي إني مجرد قصة وسط آلاف القصص.. يمكن يكون في دا خلاصي من الحزن.

قلت: ولقيت خلاصك فعلا؟

قال: شوف.. الفراق دا زي موت بتيجي بعده الحياة.

قلت: إزاي؟

قال: احنا بندفن اللي بنودعه لكن في قلوبنا.. إنت بتفتكر وانت بتودعه إنك بتدفن حياتك معاه، أو ذكرياتك بتدفنها في قبر الفراق لكن اللي بيحصل العكس.. بنلاقي نفسنا بندفن كل دا جوانا ودا بيزيد قوة الحب من تاني وترجع تاني الحياة جوة كل حاجة دفناها.. .بتحاول تهرب من نفسك من شئ جواك لكن مافيش فايدة لو انت نفسك المقبرة.. روحك نفسها المقبرة.. إزاي هاتهرب من شيء بيحيا تاني فيها.. مستحيل!

يزيد الورد حوالين قبر الذكريات وترجع تاني الحياة مع كل زهرة بتكبر وبينتشر شذاها..

قلت: طيب والرسومات دي كلها بتلاقي راحتك فيها؟

قال: بحاول أهرب بين قصص فراق جديدة، بحاول أتقمص شخصيات تانية عشان أهرب من شخصيتي وقصتي أنا.. أبكي معاهم واحس بأوجاعهم.. لأن الفراق بقى كأنه توأمي زي ما قال المتنبي مرة في شعره:

أمَّا الفِراقُ فإنَّهُ ما أعْهَدُ هُوَ تَوْأمي لوْ أنَّ بَيْنًا يُولَدُ

عارف.. كان في قصة تضحية جميلة قوي عن زوجة ماتت ودفنها زوجها في حديقته عشان ما تبعدش عنه حتى في مماتها.. وشك البوليس فيه وافتكروه قتلها لكن اتضح إنها قصة وفاء بين الزوجين وعرفوا الحقيقة.. أنا بقى بحس إن اللوحات دي فيها من ريحة «مي».. فيها شيء من الحب يقدر يصبرني على الفراق.. عشان كدا سايبهم دايمًا حواليا وكل يوم بقعد معاهم واشكيلهم همي.

ورغم وجع الفراق لكن اللي بعمله دا شيء من جمال الفراق زي ما قالت غادة السمان «**مباهج الفراق**».

قلتُ «بحزنٍ»: إنت قصتك غريبة قوي.. أغرب من الخيال.. الواقع أغرب من الخيال.. سامر كان عنده حق..

قال: سامر مين؟ صاحبك؟

قلت: أيوه دا صاحبي وكان بيتحداني إن الواقع فيه قصص أغرب من الخيال وممكن يهزم الخيال.

قال: صاحبك بيتكلم صح.. الواقع أقسى من الخيال.

بعد فترة قابلت سامر وقال لي: شفت.. أنا قولتلك لو دورت وسط الناس هاتلاقي قصص أغرب من الخيال..

قلت: صَدَقت يا سامر.. معاك حق بدأت أقتنع بكلامك.. المهم القصة أهي سلمتهالك في وقتها.

ذهبت مرة أخرى إلى محطة القطار مرتديًا زي مهلهل وممسكًا بأكياسِ المناديل.. أتأمل في وجوهِ المسافرين والمودعين والمفارقين لأحبائهم.. بعد أن سلمت لسامر القصة التي امتزج فيها الواقع والخيال.. لم يكن هناك أستاذ جامعي ولا لوحات فأنا لا أجيد الرسم.. ولم يعرف سامر حتى الآن أنها قصتي أنا..

وما زال يسألني عن هذا الرسام..

ومازالت ابتسم كلما سألني عنه!!!

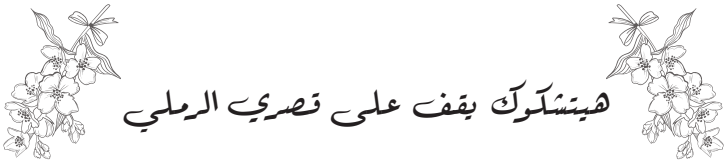

كان مولعًا بالمسرح.. يقرأ قديمه وحديثه.. تراجيديته وساخره.. يعتبر المسرح كما قال عنه توفيق الحكيم أكثر تنظيمًا من فنونٍ أخرى.. ويعشق الأفلام الأجنبية وجميع أعمال هيتشكوك.. وبرغم عمله في أحد الكافيهات ذات المستوي الضعيف إلا أنه كان يقول لنفسهِ الجملة الشهيرة « **حِب ما تعمل حتى تعمل ما تحب**» واستمر في عمله بكلِ إخلاصٍ وتفانٍ حتى جاءت اللحظةِ التي اقتحمت حياته «**سالي حامد**».. لحظة قد يتوقف عندها التاريخ ويشير إليها التقويم العشقي بلحظةِ «**الصفر**».. لحظة الألف.. ألف البداية والنهاية.. ألف القلب وبذرة العاطفة الأولى في قلبه الذي اعتبره سابقًا «**أرضٌ بور**».

سالي كانت خريجة كلية تربية ولم تجد العمل المناسب لها كحالِ أغلب الشباب والفتيات في هذا العصر فاضطرت إلى هذا العملِ مؤقتًا.. كان اليوم هو أول يوم لها في «**كافيه أداجيو**» على اسم رواية لإبراهيم عبد المجيدً.. كان أول يوم لها وأول يوم لنبضهِ التائه بين ضلوعه.. شعر كأنها أحد أبياتً آرثر رامبو الغريبة.. لم يتمالك إلا أن ينظر إلى أصابعها.. نعم كانت نظرته

الأولى لأصابعها ليرى إن كان هناك خاتمٌ ملعونٌ أم لا.. لم يجد.. عرف من يومها أن أصابعها ستخترق بسهولةٍ قلبي الهش كما يخترق الأطفال القصر الرملي أمام بحر.. بحر لديه إصرار على قتل الأحلام في قصرها.. والآمال في مهدها!

قالت له في أولِ يومٍ بابتسامةٍ تُحرك عالمه ومجراته: أهلًا أستاذ أدهم..

مديرِ العمل: استلم بقى يا سيدي دي سالي زميلتك الجديدة عايزك تعلِّمها كل حاجة في الكافيه.. أدهم من أكفأ الموظفين عندنا اطمني إنتِ في إيد أمينة.

قال أدهم في انكسارٍ: أهلًا نورتي.

وكان يقول لنفسه.. «نورتي كل حاجة فيا».!

أدهم كان يتيمًا منذ الصغر يفتقر إلى الحنان والعطف حتى من أقرب الناس له.. لم يحصل ولو على قدرٍ ضئيلٍ من العاطفة والحب من خالته التي أهملته وكانت تهتم بأبنائها فقط وحتى حبه الأول سرقه منه ابن خالته الأكبر.. نعم لقد سرق حبه الأول وتركَ بعدها البيت مهمومًا حزينًا حتى قرر أن يهرب ويعيش وحيدًا ويعتمد على نفسهِ بعد التخرج ويخرج عن عالم خالته الظالم القاسي.

كل شيءٍ أحبه أخذوه منه.. مسرحياته، رواياته، حتى البنت التي أحبها.. إنهم لم يرحموه يومًا وأصبحت حياته نفقًا مظلمًا يشتاق لنورِ العطف في نهايته.

يشعر بالضعفِ ويشعر بالحرمان إلى من يحبه حقًا من قلبه.. في غرفتهِ الخاصة كتب عبارةً بخطٍ عريض «**من يشتري مملكتي بحصان؟**» وهي الجملة الشهيرة في مسرحية شكسبير.. كان يستخدم هذه الجملة خارج إطار المسرحية للتعبير عن أنه مستعدٌ لبيع عالمه بالكامل من أجل الحب.. الحب الحقيقي المحروم منه.

انغمست سالي في العمل وبدأت تتعلم منه كل شيءٍ تقريبًا وهو كان دائمَ الخجل وينظر لها نظرةً كأنها أستاذته حتى أنها كانت تتعجب من خجلهِ الشديد **وقالت له:** إنت ليه مكسوف مني أستاذ أدهم.. دا احنا بقينا عشرة دلوقتي في الشغل.

جن جنونه من تلك العبارة.. هل تريد أن تتقرَّب منه؟؟، هل تحبه؟؟، البعض يأخذ مقاصد الغير حسب توجهاته بل ويثبتها لنفسهِ على أنها حقيقة ثم يتعامل مع الحقيقة على أنها مسلمات!!

رغم أنها لم تقل شيئًا تقريبًا إلا أنه اعتبر أنها أول إشارة.. «اتبعوا الإشارات» نعم نعم هكذا قالوا.. سأتبع الإشارات.. أعرِفُ أنك معجبة بي يا سالي وأنا أيضًا صدقيني.. صدقيني يا «**حبيبتي الأبدية**»!

عرفت ولعه بالمسرح.. إنه لا يفارق كُتب المسرح في أوقات الاستراحة من العمل.. وفي أحد الأيام انقضَّ كالمجنونِ على أحد الزبائن بعد أن غازل سالي ببعضِ العباراتِ السخيفة.. كاد أن يفتك به.. وكاد أن يفقد عمله لولا كفائته التي شفعت له عند مديره..

خرج من المشاجرةِ منفعلًا بنظرةٍ نارية تعجبت منها سالي **وقال وهو يزفُر بجنونٍ:** المجنون.. هو فاكر إيه.. دا أنا أقتله.. والله أقتله!

بدأت سالي من الاقتراب منه.. ولكي تقترب من شخصٍ تبحث أولًا عن اهتماماته ثم تتغلغل كإحداها.. تحدثوا عن المسرح قليلًا ولكنه ظل يتكلم عنه لساعات.. ساعات لا يسكت ولا يمل وهو ينظر إلى عينيها لأولِ مرة.. عينيها التي غاص فيها كما قصيدة نزار «**نحو الأعمق**»!، وما أن تصل للأعمق فلن ينقذك أي أحد.. .الحب كما العالم السفلي.. إن دخلته فلن تخرج منه إلا بجنونك وندمك!

اعتبرها من ممتلكاته.. اعتبرها حديقته الخاصة الفواحة.. اعتبرها نهره الذي سيغزوه بالنوارس والسفن.. لم يتخيل يومًا أن تكون لغيره؛ رغم أنها في الأساس ليست له ولكنه خَلق في عينيها عالمه الخاص.. وأصبح سيد عالمه.. عالمه الخاص المشبع بالغموض.

ظهر في الأفق «مجدي الرائد» إنها تعرفه منذ زمن.. من أيام الجامعة.. **قالت في أول يومٍ تلتقيه في الكافيه:** مجدي؟؟ إزيك إيه الصدفة دي؟ أخبارك إيه؟

مجدي في ابتسامةٍ يُحييها: سالي.. مش ممكن.. مشوفتكيش من زمان قوي إنتِ بتشتغلي هنا؟، دا أنا حظي حلو والله إني قابلتك.

لا لا.. لن تكون.. لن يكون هو مرة أخرى.. «قال لنفسه».. كان يتحدث عن ابن خالته صائد الأحلام.. قاتل الفرحة والأمل.. لن تكون أنت من جديد.. لن تأخذها مني.

في عالمهِ الخاص أصبحت هي له ومن يحاول غزو هذا العالم عليه أن يلعب بقوانينه.. عليه أن يلعب بقوانينه.. **قالها بصوتٍ فاضح في النهايةِ حتى سمعه البعض:** «**بقوانين أدهم**».

حاول أن يكسبهم معًا.. إنه لا يستطيع بضعفهِ أن يعترف لها بحبهِ الذي يتغلغل على أطراف اصابعه كالسفاح ويغزو مدائنه كل مساء.. سار على المثل القائل «**إذا كنت لا تستطيع أن تهزمهم.. انضم لهم**»..

قال لها: سالي ممكن تساعديني في حاجة؟؟

سالي: طبعا يا أدهم إنت زي أخويا.

«**أخويا**»؟؟ **نزلت الكلمة كالصاعقة.. ارتعشت حتى تفاصيله واصبح كالجرذِ الهارب بين شقوق الوحدة مرة أخرى..** «أخويا»؟؟ إذًا لقد صدقت التنبؤات.. مجدي لم يظهر صدفة؟؟، مجدي هو من جديد.. إنه صائد الأحلام!

قال لها: أنا عايزك تكتبي معايا مسرحية وتساعديني إنتِ وأستاذ مجدي.. أنا شايفُه بيتردد كتير ع المكان.. يا ريت لو تفضولي يومين بس نكتب فصول مسرحية تراجيديا.

سالي: من عنيا يا أدهم دا أول طلب تطلبه مني وانا مش هاتأخر عنك أبدًا.

قال لنفسهِ: «من عينيكِ؟؟» ولماذا لم تقطفي لي تفاحة الجنة من عينيكِ.. لماذا يقضمها هو وأقف أنا موقف الحاقد العاشق.. لماذا اختارني العالم للعب دور العاشق السري.. لماذا وجِدتُ ضعيفًا؟؟ لماذا؟؟؟

«**العشق كالخنجر في صدر العاشق إذا أعلنه أخرجه.. وإذا كتمه عاش كالغمدِ له**».

بدأوا في كتابةِ المسرحية.. لقد تأكد تمامًا من نظراتِ أعينهم.. إن الكافيه كان جنتهم الموعودة وأنه عاد بعد سنواتٍ ليلتقي سالي بالصدفةِ التي تحولت لحبٍ جارف مع الأيام والذكريات واللقاءات المتواصلة.. نعم شبَّ نار الحب ولظاه في قلب مجدي..

قال أدهم: احنا هنعمل مسرحية رائعة جدًا.. فيها غيرة وحب ودراما قوية جدًا.

وبعد فترةٍ في مقر أحد الأقسام:

الظابط: يا أستاذ مجدي مافيش داعي للإنكار.. الموضوع واضح ومافيش فيه لَبس والبصمات في كل مكان.

مجدي: دا جنون.. والله ما عملت حاجة دا قتل حب عمري وحياتي المجنون.. عملها المجنون.

الظابط: يا أستاذ مجدي الجوابات فيها كل التفاصيل.. دا انت كنت كاتب جوابات حب والجملة في الآخر قلبت بتهديد، تحب أقرالك منها؟ ولا هتنكر إن دا خطك؟

مجدي «منهارًا»: صدقني دي مسرحية.. قال لنا إنه بيعمل مسرحية.. اسألوه.. اسألوه.

الظابط: مسرحية اه.. كلام معقول برضو.. تنكر إنك كنت بتقابلها كل يوم بليل في الكافيه في الفترة الأخيرة.

مجدي: أيوه دا حصل لكن لأني كنت بحبها.

الظابط: ما انا عارف ودا دليل إدانتك.. ما هي الجوابات كلها حب ودافع القتل الغيرة في النهاية.. دي جملة من آخر جواب وبخط إيدك «**مهما كانت علاقتك بيه مش هايهمني.. إنتِ ملكي.. ملكي حتى لو اضطريت إني أقتلك.. آكلك أكل واشرب من دمك**».

مجدي:.. .. ..

الظابط: مش هترد يعني؟، خدوه دلوقتي.

وفي الإسكندرية أمام شاطئ البحر.. جلس أدهم بعد نهاية التحقيقات وإثبات برائته يسترجع ما حدث..

في ليلةٍ من ليالي كتابة المسرحية قال لهم أدهم: اكتب إنت في الحوار بتاعك «**مهما كانت علاقتك بيه مش هايهمني.. إنتِ ملكي.. ملكي حتى لو اضطريت اني أقتلك.. آكلك أكل واشرب من دمك**».

سالي: يا ساتر إيه المسرحية دي يا أدهم دا حوار صعب ودموي قوي.

أدهم: معلش يا سالي أرجوكِ ساعديني دي أملي ونفسي أخلصها وانا عارف إني تعبتكم معايا.. ولو عايزين تبطلوا خلاص يا جماعة والله ما هاضغط عليكم.

سالي «بنبرةِ عطف»: خلاص يا أدهم ما تزعلش ولا يهمك أنا بس كنت بعلق على الحوار إنما طبعًا هانساعدك صح يا مجدي؟

مجدي ناظرًا بحبٍ لسالي: طبعًا يا سالي أنا تحت أمرك انتِ وزميلك.

كانت الخطابات تتعدى العشرين.. في صندوقٍ خشبي صغير بجوار الجثة.. تركها أدهم ورحل.. كان الموعد في الثانيةِ صباحًا.. الكافيه مغلق ولكن كانت العلاقة قد توطدت بين أدهم ومجدي.. **وأثناء جلوسهما في أحد الكازينوهات:**

أدهم: دا آخر يوم يا مجدي ولازم سالي تيجي دلوقتي تسلمني الورق اللي معاها.. ورق المسرحية لأنه مطلوب مني بكرة لعرضها على اللجنة وكدا مستقبلي هايضيع.

مجدي: دا ميعاد صعب قوي يا أدهم..

أدهم: معلش هي ربع ساعة في الكافيه.. أنا المدير سايبلي نسخة من المفتاح من زمان.. هتسلمني هي الورق وهاجيب باقي الورق بتاعي من هناك وتمشي عالطول.

أرسل أدهم رسالة بهذا المعني من هاتف مجدي إلى سالي أن تحضر فورًا في الكافيه وحكى لها كل شيءٍ في الرسالة.. جاءت سالي بالأوراق الخاصة بالمسرحية وفتحوا الكافيه المغلق ووضعوا عليه من الخارج علامة «**مغلق**».

سالي: طيب بما إنك سهرتنا يا عم أدهم كدا وانا جيت عشان خاطرك.. تشربوا حاجة بقى قبل ما نمشي.

أدهم: أكيد أكيد لازم نشرب حاجة.. ثانية واحدة يا مجدي هاحضر مع سالي حاجة في المطبخ وجاي علطول.

وبعد دقائق: خد يا مجدي اشرب الكوكتيل دا هيعجبك دا سالي اللي عملته قبل ما تمشي.

مجدي: مشيتْ؟؟

أدهم: اه هي قالت انها اتاخرت قوي وادتني الورق على العموم.

مجدي: انت لابس جوانتي كمان انت مبالغ قوي يا أدهم هي سقعة قوي بس مش للدرجة دي.

أدهم: أنا بردان موووت يا مجدي خليك دقيقتين هنا وجاي لك هأمن بس ع المطبخ جوه اشرب انت العصير.

كل شيء معد له.. بلاغ للشرطة.. هجوم على الكافيه.. مجدي متلبسًا.. يشرب «**الكوكتيل**» الذي عرفوا تفاصيل محتوياته في مكالمة «**فاعل خير**» وتأكدوا أنها تحتوي على دماء سالي.. نعم لقد كان يشرب كوكتيل من الفواكه والدماء.. وتأكدوا من هذا بعد تحليله..

الخطابات الدموية في كل مكان.. لم تكن على شكل حوار مسرحي كما طلب منهم أدهم، كانت على شكل خطابات.. بخط يد سالي ومجدي بين الحب والوعيد والتهديد بالقتل.. والجثة في المطبخ خير برهان!

قال أدهم لنفسه أمام البحر: «لن يأخذ مني أحدٌ شيئًا حيًا.. وخصوصًا الحب.. إذا أردت الانتصار فالعب بقوانيني.. وقوانيني الحب والموت».

جلس يقرأ في أحد كتب الأساطير للمرة الثالثة عن انتقام هيرا من عشيقة زوجها بأن جعلتها تأكل أولادها.

وأمسك أحد سطور الكتاب المقدس التي علم بين سطورها وفهَمها بطريقتهِ الخاصة وبمغزاه الخاص في عالمه الخاص جدًا:

«**ثم قال لها الملك ما بكِ؟، فقالت إن هذه المرأة قد قالت لي هاتِ ابنك فنأكله اليوم ثم نأكل ابني غدًا**» سِفر الملوك الثاني.

تذكر أول قصر رملي بناه وهدمه أقاربه وضحكوا عليه ووضعوا رأسه فيه وسكبوا عليه الماء.. لقد قال لهم «**أسمع أصواتًا تناديني من البحر**» قالوا عنه «**مجنون**».

تنهد تنهيدةً ونام أمام شاطئ البحر بعد أن بنى بيتًا من الرمال.. لن تعبث به أصابع سالي.. لقد اختار أن يعبث البحر بقصره الرملي في النهاية.

عشقتُ ريتا في قرطبة

لا أعرف لماذا قابلتك يا هادمة النظريات.. هدمتي نظريتي في خلودِ الحب الأول وأصبحتي حبي الأخير.. أحببتك في «**خمس ثوان**» كما تحدثت تلك الدراسة عن حدوث الحب.. قد يحدث الحب في خمسِ ثوانٍ.. لقد حطَّمت كل الدراسات وأحببتك في خمس «**الفيمتو**» نظرة!!

تقابلنا وتحدثنا كثيرًا.. وكلما تسللت نظراتك إلى شغاف قلبي كنت أخاف.. وأقول لنفسي «**من شبَّ على عشقٍ شاب عليه**».. ولكن لم تفلح المحاولة.. أصبحت «**سيزيف**» يا سيدتي من جبهتك إلى أخمص قدميك..

أصبحت أقول كالمسيح « **مملكتي ليست في هذا العالم**» ولكني أزيد «**مملكتي في عينيك**»..

أصبحتي كجليسة أطفال نبضاتي وأفكاري وخيالي..

كيف سأهرب منك يا «**رباعيتي**» الأجمل التي أحاطتني من كل الاتجاهات..

ويا «**ثلاثيتي**» التي لا تكتمل إلا بقسمي الثلاثي إنني متيمٌ بك..

ويا «**ثنائية**» شخصيتي وجنونها وازدواجها..

ويا «**أحاديتي**» وتفردي وهيامي وصبابتي.

هكذا بدأت القصة.. إنه «**مراد**».. شاب ثلاثيني وحيد.. واسع الجبهة.. غريب العينين وغائرها أشبه بعينِ حصانٍ مفزوع.. أفطس الأنف.. هكذا وصف حبهِ الثاني مع «**ريتا**».. ذكره الاسم ب ريتا حبيبة محمود درويش وقصته الكبرى وقصيدته الأجمل.. لقد حافظ مراد لسنواتٍ على عهده وحبه الأول ولكن قلبه خانه.. إنها الخيانة الجميلة إن كانت هناك خيانة جميلة.. وكأنما لعب مع قلبه «**روليت روسي**» وتراهنا على أنه لن يعشق ثانية ولكن الرصاصة أصابت مراد في قلبه وبيد قلبه!!

بصرف النظر عن مراد سأتدخل كعادتي في القصة «**أنا الكاتب» وأقول لكم:** عذرًا يا مراد.. سيداتي آنساتي إن هذه القصة سيريالية مجنونة.. فإن كنتم تريدون البحث عن قصصٍ واقعية فابحثوا عن قصةٍ أخرى.. لأنني وبكلِ صراحة لا أري فيً الحب سوى سريالية..

مراد: أنت مرة أخرى؟

الكاتب: اعذرني يا مراد.

مراد: ولكنك وعدت أن تحكي قصتي كاملة..

الكاتب: إنها ليست قصتك يا مراد أرجوك افهم إنها قصتي.

مراد: حسنًا أيًا كان هذا ولكن هيًا قص عليهم فورًا.

في وسط القاهرة وفي إحدى المقاهي القديمة الطراز.. جلس مراد وسط ضجيج لعبة الدومينو وهدوء الشطرنج.. جلس في منضدةٍ وسطى غير منتظمة التفاصيل وبدأ في إخراج «**هاتفه**» وقرأ رسالة «**ريتا**» له بعد أن تعارفا لفترةٍ قصيرة ولكنَّه أحبها في فترةٍ أقصر.. والحب لا يرتبط بوقتٍ لأنه كما كان يقول «**وقت الارتباط لا يرتبط بوقت**»!!

بعد أن قرأ رسالتها **قال في صوتٍ أنثويِّ النبرة:** لو سمحت.

تعجب النادل من أين يخرج هذا الصوت تحديدًا **وقال في تعجب:** مييييين؟

مراد: أنا.. إنت مش شايفني ولا إيه؟

النادل: سلامٌ قولٌ من ربٍ رحيم دا صوتك دا يا أستاذ؟؟

مراد: ماله صوتي مش فاهم؟ هاتلي واحد قهوة مظبوط بسرعة.

بدأ مراد في العبثِ في شعره بطريقةٍ أنثوية فجة أثارت حفيظة من حوله وهو ينظر إلى إحدى «**المرايا**» في القهوةِ ويعبث بشفتيه كأنه يضع مكياج وسط استغراب الجميع **حتى صاح أحدهم:** أهي أشكال الواحد بيشوفها ويا عالم دول يطلعوا إيه.. شكلوا كدا حاجة من اللي بنسمع عنهم يا حفيظ يارب.

ضحك مراد ضحكةً مائعة بصوتٍ أنثوي وسط مغادرة البعض مشمئزين من هذا الشخص الذي لم يعرفوا له جنسًا معينًا حتى كرهوا الجلوس بجواره فرغم ملامحه الذكورية الحادة إلا أن كل تصرفاته تصرفات أنثوية.

وفجأة هاجمت «شرطة الحب» المكان وهرب الزبائن ولم يبقَ غير مراد.. **وقالت شرطة الحب في الميكروفون:** مراد اخرج لنا فورًا معانا أمر باعتقالك مافيش داعي للمقاومة..

مراد بصوتٍ أنثوي حزين: لكن ليه.. أرجوكم ادوني حريتي.. أنا حاسة بيه.

الظابط: حاسة؟؟ إنت إيه بالظبط؟؟

مراد: أنا روح حاسة بمحبوبها.. أرجوكم ما تحبسونيش تاني.

ولما وجدوا منه كل هذا الضعف هجموا عليه بسرعة واحتجزوه داخل أحد أقسام شرطة الحب..

مراد: إنت مين؟

إيروس: أنا رئيس شرطة الحب إيه مش عارفني؟

مراد: إيروس ابن افروديت؟؟؟؟

إيروس: اقعد يا أستاذ مراد عايزين نتكلم مع بعض.

مراد: أنا عملت إيه بس؟

إيروس: إنت مش عارف إن الحب اللي جواك يقوم «**ثورة عشقية**» ويهدد سلام عرش الحب والأحلام؟

مراد: لكن أنا مش هانتزع سلطان الحب أنا بس عايز أكون تحت جناحه.

إيروس: للأسف إنت أصبحت تهديد خطير على حالة «**العشق العام**» وبتهدد بسحب بساط الحب كله من تحت أقدام الأولمب.

مراد: لكن.

إيروس: أرجوك كلمني بلهجة رجولية شوية إنت بتتكلم كدا ليه؟

مراد: مش عارفة بجد.

إيروس: مش عارفة؟؟ إنت جنسك إيه بالظبط؟؟ مراد ولا اسمك إيه؟؟ خدوه من هنا ع السجن.

وفي داخل السجن:

الخيال: أستاذ مراد.

مراد: مين؟؟ حد بيتكلم؟؟ أنا سامع صوتك من الجدار؟؟

الخيال: أنا ممكن أساعدك تخرج من هنا.

مراد: إنت مين؟

الخيال: أنا إلهامك أول جزء من حبك وتخيلاتك كلها.

مراد: أنا أصلًا حاسس إني في عالم خيالي.. أنا حاسة..

قاطعه الخيال: حاسس وبعدين حاسة؟؟ إنت جنسك إيه بالظبط؟؟

مراد: مش عارفة..أرجوك ساعدني.

الخيال: شوف إنت أصلًا شخصيتك فيها من الـ

Fantasy prone personality.

مراد: يعني إيه؟؟

الخيال: إنت بتحلم أحلام يقظة كتير ويمكن دا من ساعة ما حبيت، وممكن تكون دلوقتي في حلم منهم وانا هاساعدك تخرج.

مراد: أرجوك خرجني من هنا.. أكيد ريتا هي السبب أنا بعشقها.

الخيال: إنت حاسس بيَّا وسامعني.

مراد: أنا حاسس بيك لدرجة إن الصوت كأنه من جوايا.

الخيال: زعق معايا وقول أيكوبراكسيا.

مراد: أيكوبراكسياااااااااا.

الخيال: بصوت أعلى.

مراد: أيكوبراكسيااااااااااااااا.

ومرة أخرى على القهوة أفاق مراد من ما حدث له ووجد نفسه محاطًا بنظراتِ كل من حوله وهم فاغرين الفاه.. **حتى قال أحدهم:** حمد الله ع السلامة يا أستاذ؟؟ سلامتك.. تحب نكلملك حد؟

مراد: لا متشكر قوي ليكم.

الزبون: دا صوته اتعدَل كمان الله أكبر.. الحمد لله اللي أتمَّ شفاك.

لملم مراد أشيائه من على المنضدة ووضعها في حقيبتهِ وخرج من القهوة وهو دامع العينين وعلى شاشة هاتفه.

.notification

رسالة جديدة من ريتا تقول فيها «**صدقني يا مراد مش هاينفع نتقابل.. أنا في البيت مش راضيين يخرَّجوني حابسِنِّي**».

قال له طبيبه النفسي ذات مرة: إنت حالتك بقت خطيرة يا مراد، إنت بتحبها لدرجة إنك بقيت بتقلِّد تصرفاتها وحتى صوتها.. .دي أشبه بحالة الأيكوبراكسيا لكن مش هي.. إنت حالتك محتاجة عناية يا مراد.. ولازم تهتم وتواظب معايا على العلاج.

لقد عاش مراد كل أوهامه في أحد أحلام اليقظة على القهوة.. لقد رأى رسالة ريتا عن الحبس في منزلها فتخيَّل كل ما

حدث.. تخيل شرطة الحب وسجن في زنزانة الحب وساعده خياله في العودةِ مرة أخرى للواقع ولكنه ما زال لم يستطع الخروج من صوتها ولا حركات ريتا.. سيطرة كاملة ليست فقط بشخصيتها وجمالها ولكن حتى بالصوت وأحيانًا محاولة نسخ الصورة..

وفي زمنٍ قديم في قرطبة:

رجل: هل رأيت هذا الرجل يا ابن حزم؟

ابن حزم: نعم إن حالته والله مريبة غريبة.. إنه عاشق حد الثمالة حتى أرى في حركاته تشبُّهِهِ بمحبوبته، وصوته كصوتها أو أرق.. إنه الحب ولوعته.

رجل: فهل كتبت فيه؟

ابن حزم: ليس بعد.

وهرع ابن حزم إلى منزلِهِ يكتب في أحد الفصول: «**ومن آياته مراعاة المحب لمحبوبه، وحفظهِ لكل ما يقع منه، وبحثهِ عن أخباره حتى لا تسقط عنه دقيقة ولا جليلة، وتتبُّعه لحركاته. ولعمري لقد ترى البليد يصير في هذه الحالة ذكياً، والغافل فطناً**».

وقال ابن حزم لنفسه: غريب هذا الرجل المسمى مراد.. إنه حالة في الحب لم أسمع عنها وكأنه أتى من زمنٍ غير زماننا هذا والله!!

ليلة زفاف أكثر من مثالية

في ليلةِ السبت وقبل موعد الفرح تلَقَّت «**لارا**» ظرفًا صغيرًا مغلق بإحكام ولم تتوانَ هي أن تقرأ ما فيه بسرعةٍ وبفضولٍ شديد وقلق أيضًا فهي تخشى من أي شيءٍ قد يعرقل مسار الفرح الذي تنتظره أمها المريضة بفارغ الصبر فربما يمنحها بعض السعادة التي فقدتها منذ أن أصابها المرض.

كانت الورقة في داخل الظرف ملونة بعدة ألوان كأنها قوس قزح مما يوحي أنه خطاب تهنئة أو ما شابه وسرعان ما بدأت لارا في القراءة:

الكل يبحث عن كيفية جعل «**الفرح**» مثاليًا في عيون الحاضرين ولكن لابد لهم أن يعوا جيدًا أن المثالية التي يبحثون عنها لن تتواجد بين صفحات الكتب أو شبكة الإنترنت ولكنها تبدأ من داخلهم.

البشر تعودوا أن ينقدوا كل شيءٍ فلن تستطيع أن تُضفي المثالية على أي شيءٍ ولكن العلاج موجود وهو أن تكون أنت مثاليًا في تصرفاتك.

نعم إنه فن الإقناع فربما من فرط ثقتك في مثالية ما حولك تقنع الآخرين بمثاليته فعلًا، إن البداية والنهاية تكمن داخلك وليس في قاعة الفرح ولا في عدد الزهور ولا في ثوب الكراسي ولا الدانتيل ولا طول فستان الفرح بل أنتِ مفتاح السر وأنتِ حقيقة هذه الليلة.

ولأنك أنتِ سر هذه الليلة فقد قررتُ أنا أن أمنحك ليلة مثالية لن تجديها بين صفحات الكتب ولا في أي مكان ورغم أن المثالية وهم كبير فأنتِ فقط من سيجدها هذه الليلة لأنها باختصار «**ليلة الوهم والحلم**»..

مبروك للعروسين.

انتهت لارا من قراءة الخطاب واختلطت مشاعرها بين الريبة والسعادة فهي لا تعرف من الذي أقدم على هذه الخطوة الغامضة ولماذا يمنحها فرح مجاني وهل عرف «**حاتم**» خطيبها بأمر هذا الخطاب أم لا يا ترى؟

هرعت إلى الهاتف وأجرت اتصالًا على «موبايل» حاتم:

لارا: ازيك يا حاتم واحشني.

حاتم: ازيك يا لارا وانتي كمان يا حبيبتي.

لارا: حاتم أنا عايزة أسألك على حاجة.

حاتم: قولي يا لارا.

لارا: في جواب جالي النهاردة بيقول إن فرحنا هايكون مجانًا إنت تعرف حاجة عن الكلام دا؟

حاتم: اتصلت بيا إدارة الفندق وقالولي فعلًا إنها مفاجأة من رجل أعمال وانه مش قاصد بالذات فرحنا ولكن هو عملها بشكل عشوائي واحنا اللي فزنا بالليلة دي.

لارا: طمنتني يا حاتم بجد أنا مبسوطة قوي بالفرح دا وهنزل معاهم من بكرة أنقي كل حاجة.

حاتم: ربنا يسعدنا دايمًا يا لارا يا حبيبتي.

في صباح اليوم التالي ذهبت لارا إلى الفندق لتبدأ في ترتيب اللازم لهذه الليلة المثالية، وظهر معها الأستاذ «**أكرم**» مسئول القاعة وهو رجُل قصير ذو شارب كثيف وأنف أفطس ولا تخلو لهجته من بعض الغرابة؛ لأنه دائم التحدث بالفرنسية ولا يتحدث العربية إلا قليلًا وكأن لغته الفرنسية كانت قد طغت إلى حدٍ ما على لغته الأم؛ فأصبحت مخارج الحروف مضحكة إلى حدٍ ما.

لارا: أستاذ أكرم ليه الشاشة الكبيرة قوي دي؟

ياريت الحجم يكون أصغر شوية، دي شاشة عملاقة حوالين القاعة كلها.

أكرم: للأسف يا أستاذة كلارا.

لارا: لا اسمي لارا.

أكرم: اه تمام.. للأسف يا أستاذة لارا إن في حاجات مش هاتقدري تعدليها لو هتاخدي الليلة المثالية دي.. دي شروط صاحب الفرح.

لارا «في حزم»: لكن أنا صاحبة الفرح.

أكرم: تمام حضرتك ولكن أنا أقصد إن في شروط حطَّها اللي دفع فلوس الفرح دا وقال في حاجات ماينفعش تتعدل وحاجات ممكن تختاريها حضرتك براحتك في الكراسي والترابيزات وخلافه.

لارا: يعني هو هايتحكِّم في ذوقنا بفلوسه.. لا خلاص مش عايزة الفرح دا وهاندفع احنا يا أستاذ أكرم.

أكرم: للأسف حضرتك إن لو الميعاد دا راح مش هاتعرفي تحجزي قبل شهر تقريبًا لإن هو حاجز قبلكم أنا آسف يا أستاذة لارا.

ظلت لارا تنظر للشاشة العملاقة بإستياءٍ بالغ ولكنها قالت في قرارةِ نفسها «**أمري لله**» واستسلمت للأمر الواقع الذي فرضه عليها «**صاحب الفرح**» كما يسميه أكرم.

وفي ليلةِ الزفاف كانت القاعة قد امتلأت بالضيوفِ من الأقارب والأصدقاء، الكل يظهر في أبهى حلة ويُقبِّل العروسة ويبارك لها ثم يجلس في مكانه، وكعادة بعض الأفراح يتم تقسيم القاعة إلى أماكن لأقرباء العروس والنصف الآخر لأقرباء العريس؛ وكأنها مباراة بينهم وتبدأ روح المبارزة الروحية بين

الحاضرين في الإدعاء والتظاهر والتحدث عن إنجازاتهم ليقولوا للطرفِ الآخر «**نحن الطرف الأقوى**» كعادةِ معظم الأفراح التي لا تخلو أيضًا من بعض النفاق الاجتماعي وكأنهم خارجون من فيلم «**أرض النفاق**»!

وجاءت الفقرة.. نعم لا تتعجب أُسمِّيها «**الفقرة**» لأن هذا «**الاستعراض**» الآدمي المسمَّى «**فرح**» يمتلأ بالفقرات.. جاءت فقرة «**التورتة**».. وهي لابد أن تكون عدة طوابق كما تعودنا في معظم الأفراح؛ إلا أن الغريب أن هذه المرة كانت أكبر من أي فرحٍ مضى، كانوا لا يعرفون حتى عدد طوابقها فهي تكاد تلامس السقف ولكنهم سرعان ما عرفوا أن كل طابقٍ فيها مدون عليه كلمة وعندما أحصوا الكلمات وجدوا كلمات لنزار قباني **تقول:**

«إني كمصباحِ الطريق صديقتي
أبكي ولا أحَد يرى دمعاتي».

وبعد أن قرأوا هذه الكلمات شعروا بالقلقِ إلى حدٍ ما، وما زاد القلق عند الحضور هو إغلاق الأبواب بإحكام فجأة مما أثار الفزع داخل القاعة وبدأ البعض بالصراخ الذي لَم يقطعه إلا ظهور شخص فجأة على الشاشة العملاقة بتصويرٍ مهزوز وكأنه بث مباشر من مكانٍ غامض.

بدت الصورة مهزوزة تمامًا أمام أعين الحاضرين على الشاشة **وقال الرجل والكاميرا على وجهه في وضعية «الزوم»:** ربنا يسامحني يارب.. صدقوني أنا عمري ما عملت كدا بس

هو عرض عليَّا مبلغ كبير جدًا عشان أعمل كدا أنا رايحله أهو قدامكم.

لم يفهم الحاضرون من يقصد هذا الرجل وما الذي هو مُقدم على فعله تحديدًا وفجأة ظهر على الشاشة شخصٌ آخر مكمم الفم **وصرخت لارا في فزعٍ:** سليماااااااااااان؟؟؟؟؟

نظر إليها حاتم في غيرةٍ وغضب وقال: إنتِ تعرفيه؟

صمتت لبرهةٍ قبل أن تُجيب: أيوه أعرفه يا حاتم.. أعرفه جدًا للأسف.

ظهر الرجل الآخر مرة أخرى وقال موضحًا: طبعًا انتوا مستغربين إيه اللي بيحصل.. لكن الأستاذ سليمان دا أو زي ما قالي إنه «**صاحب الفرح**» قرر إني أقتله النهاردة واداني فلوس عشان أقتلوا بشكل مباشر قدامكم وانا قولتله لأ في البداية لكن هو وعدني بمبلغ بصراحة مقدرتش أقاومه.. أنا كنت في صراع مع نفسي لكن قررت أعملها وأمري لله.

حاتم «في سخريةٍ»: قاتل وبيقول «**أمري لله**».

بدأ الرجل بتصويب المسدس على جبهة سليمان وكان الصراخ يتعالى في القاعة من شدة الفزع.. فهذِه الليلة المجنونة قد يحدث فيها أي شيء.. **وفجأة صرخت لارا: لا** استنى.. أرجوك خليني أكلم سليمان لو سامعين صوتنا في القاعة.

كان الاتصال عن طريق شبكة الانترنت وكان الصوت مسموعًا بين الطرفين، **وأزاح الرجل الكمامة من على فم سليمان وقالت لارا:** سليمان ما تعملش في نفسك كدا أرجوك ما تعذبنيش أكتر من كدا.

حاتم: «في غضبٍ»: إنتِ بتقولي إيه؟؟ ما يغور في ستين داهية إيه علاقتك بيه يا لارا هه؟ ردي وقولي إيه علاقتك بالراجل دا؟

لارا «متجاهلة حاتم»: سليمان إنت سامعني يا حبيبي؟ أرجوك ما تعملش في نفسك كدا.. كل حاجة كانت صعبة عليَّا زيك بالظبط.. صدقني يا سليمان أنا ماعشتش يوم واحد سعيدة.

حاتم «في غضبٍ عارم»: حبيبك؟؟ إنتِ بتقولي إيه؟؟ إنتِ أكيد اتجننتي.

في وسط كل هذا الهرج والمرج في القاعة والفرح الذي تحوَّل إلى كابوسٍ مزعج؛ سمع الحضور فجأة طلقة مدوية وانفجرت بعدها عددٍ من «**البالونات**» في سقف القاعة وخرجت منها سيول من الدماء التي كانت بداخلها ليزداد الموقف رعبًا وتتحول القاعة إلى بركة من الدماء البشرية.

لم يظهر على الشاشة إلَّا صورة سليمان وهو مغطى بالدماء مما أصاب لارا بحالةٍ من الهياجِ والصراخ وهي تدفع حاتم وتضربه بشدة وكأنه المسئول الأول عن كل هذا.. وقف حاتم لا يصدق ما حدث وكيف تحول فرحه فجأة إلى ألمٍ يطبق على صدره

ويشرخ كل معاني الحلم الذي كان يتمناه مع حبيبته لارا.. لا يصدق أن حلمه أصبح كالجنين الميت فـ لحظة الولادة والسعادة هي لحظة الموت والحزن!

في بعض الأفراح يخرج أحيانًا العريس والعروس من تحت الأرض.. وهذا ما حدث فجأة أمام أعينهم.. انطلق دخان كثيف وخرج سليمان من تحت الأرض؛ ليعُلن لهم أن كل ما شاهدوه مشهدًا مسجلًا وأنه ما زال حيًا يرزق واحتضنته لارا بشغفٍ وهي تقول «اوعى تسيبني تاني يا سليمان اوعى تسيبني.. أنا عمري ما عرفت الألم غير دلوقتي أما حسيت إني فقدتك».

لم يقل سليمان وهو يحتضنها وسط دهشة الحضور جميعًا إلا كلمتين «٢=٢ يا لارا ما ينفعش يساوي واحد خالص.. العدل بيقول كده».

لارا: يعني إيه يا سليمان؟ ليه بتقول كدا؟

سليمان: ها تفهمي بعدين يا حبيبتي.

انتهت الليلة الحزينة وسط لعنات وغضب الحاضرين التي انصبَّت على العريس والعروس وسليمان، وتوعدوه برفع دعاوي قضائية ومحاكمته ولكنه لم يهتم لأنه سيجد سعادته أخيرًا مع لارا التي فقدها منذ سنوات.

كان يوم فراق لارا وحاتم هو نفس اليوم الذي اجتمع فيه لارا وسليمان.. قصة الحب القديمة التي أعاد الزمان صياغتها

من جديد.. عاشوا معًا خمسة شهور من السعادة **وفي أحد الأيام على شاطئ البحر:**

لارا: أنا بعيش أسعد أيام حياتي يا سليمان معاك دلوقتي إنتِ رجعتلي عمري كله.

سليمان: وإيه اللي ممكن يضيَّع السعادة دي يا حبيبتي؟

لارا: طول ما انا معاك عمر السعادة ما هتنتهي.

سليمان: السعادة مش بتدوم بفقدان أسبابها يا حبيبتي.

لارا: تقصد إيه يا حبيبي؟

سليمان: فاكرة أما قولتلك ٢ لازم يساوي ٢.

لارا: أيوه ومقولتليش تقصد إيه بكدا يا سليمان.

سليمان: يعني انتِ جرحتيني مرتين يا لارا.. مرة أما سبتيني ومرة تانية أما اتجوزتي وشوفت فرحك قدام عيني.. وانا عذبتك مرة واحدة بس يوم الفرح.

لارا: ؟؟؟؟

بعد عدة سنوات في منطقة القطم في إحدى المستشفيات:

حاتم: مافيش أمل يا دكتور؟ الحالة مالهاش حل أبدًا؟

الطبيب: للأسف يا أستاذ حاتم كل حاجة بإيد ربنا هي دلوقتي في حالة Psychological trauma.

وبقالها فترة طويلة لكن أكيد الأمل موجود.

وقف حاتم من بعيد وهو ينظر إلى لارا وهي ترسم رسمتها المعتادة على جدران المستشفى وكأنها في عالم آخر تمامًا ولا تدري بما يدور حولها، كانت رسمة أشبه بشبحٍ أسوَد ثم سرعان ما تحاول مسحَهُ وهي خائفة ومذعورة.

وفي شقة سليمان:

الأم: شوفت يا سعيد.. سبحان الله معقول كل دا حصل للبنت؟ اللهم لا شماتة.

الأب: يا زينب ونشمت ليه بس.. ابنك وموِّت نفسه عشانها من سنين طويلة لكن إيه اللي حصل للبنت مش عارفين.

الأم: بيقولوا إن الفرح كان ماشي طبيعي وفجأة قعدت تصوت وتقول «**دم.. دم.. كل المكان فيه دم.. ليه بتعمل كدا يا حبيبي؟**» قصة غريبة جدًا.

الأب: وبقالها سنين في الحالة دي.. ربنا يشفيها يا زينب مش عايزين نشمت في حد ونقول إنها كانت السبب في موت ابننا زمان.

الأم: هو فعلًا انتحر عشانها يوم ما سابته بدون سبب وسافرت برة وحس إنها خدعته وقالتله في الآخر كل حاجة بينا انتهت.

الأب: ربنا يسامحها بقى يا زينب كفاية اللي هي فيه دلوقتي.

كل ما وجدوه في غرفتها وسط المكياج بعد الفرح كارت نصه محروق مكتوب عليه «**دليلك إلى ليلة زفاف مثالية**»!! من المرسل لا أحد يعرف..

كل ما يقوله ويردده حاتم لنفسه « **ليه لارا مقالتليش على الكارت دا؟؟ ليه؟؟ ومين بعته؟**».

وفي زيارة أخرى دخل حاتم مع الطبيب الجديد بالمستشفى وسرعان ما جحظت عينا لارا بفزعٍ وسالت دمعة وهو يقول: دكتور أكرم هكون معاها عالطول يا افندم دي في عيوني ما تقلقش على لارا هانم».

يبتسم أكرم بخبثٍ وهو يُغلق الباب بعد رحيل حاتم ويقول.

« **كلارا ولَّا لارا؟**»!!!

دينا ونظرية الكهف

أحيانًا أشعر بأنني «**دون كيشوت**» أحارب من أجل «**دولسينيا**».. أحارب كل شيء.. أحارب حتى طواحين الهواء وقطيع الأغنام.. ولكن هل سأخرج من معركتي منتصرًا؟

هل خرج أحدكم من قبل منتصرًا من معركةِ أوهامه إلا باليقين؟

وهل وجد أحدكم اليقين المطلق من قبل؟

أنا أعيش منذ زمنٍ طويلٍ في «**كهف أفلاطون**» جربت رحلتي في عالم الحقيقة ولكني عدت مرة أخرى لكهفي وأغلالي.. عرفت الحب في خارج الكهف وسرعان ما عدت خائفًا مذعورًا لكهفي الجميل.. كهف الوهم.. نعم لقد لمست بأحضان قلبي الحقيقة ولكني سرعان ما لفظتها.. وعرفت أن الحقيقة الوحيدة في هذا العالم هي الحب..

أنا «**خيميائي**» الحب الذي لم يجد حجر الفلاسفة إلا في عينيها.. ولكن من هي؟، دعوني أحكي لكم حكايتها التي حدثت بمحض الصدفة.. فالصدفة أحيانًا قد تُعيد خلق حياتك

وقد تُعيد تشكيل روحك.. فالصدفة قوة.. الصدفة تشرب دائمًا من كأسِ القدر.

في أحد أيام الصيف وبينما أتناول «**النسكافيه**» الخاص بي وأقرأ إحدى الروايات التي أحبها لإيميل زولا.. **طرق الباب بعنفٍ فجأة:**

الرجل: السلام عليكم.

أنا: وعليكم السلام إنت مين؟

الرجل: الصور دي من طرف الحاج حليم.

أنا: حليم مين.. استنى.. يا أخ.. إنت يا.. ..

وخرج الرجل مسرعًا ولم أعرف أي صورٍ تركها ومن هو الحاج حليم أصلًا؟؟

فتحتُ الظرف مسرعًا ووجدت أربعة صور لإمرأةٍ تخطف العقول والقلوب.. لم أكن أعرف أن هذا الجمال موجود بالفعل في عالمنا وأن امرأةً واحدة قد يؤسس جمالها مدرسة فلسفية جديدة متكاملة يتعلم منها البشر.

رغم أنني لم أعرفها وما زلتُ مرتابًا من قصة هذه الصور التي قد تورطني في مشاكلٍ أنا في غنى عنها إلا أنني ظللت أنظر إلى تلك الصور بشوقٍ وترقبٍ وغموضٍ وتوجسٍ أحيانًا.. ورغم اختلاط مشاعري إلَّا أن الحب كان قد بدأ سيطرته.. ليس حبًا حتى من أول نظرة إنه من أول صورة!!

طرق الباب مرة أخرى بسرعةٍ ودخلت هي.. نعم هي.. مفجِّرة كوني الصغير ومسلسلة عصوري وأيامي وتطوري من قلبٍ إلى حبٍ.

قالت: خبيني عندك أرجوك.

قلت: إنتِ؟

نظرت إليَّ باستغرابٍ وقالت: إنت تعرفني؟

قلتُ متلعثمًا: لا.. لا.. بس..

قالت: الصور صح؟؟

قلت: أيوه الصور.. إيه حكايتها بالظبط؟

أعددتُ لها فنجانًا من الشاي وروت لي حكايتها بالتفصيل وقالت:

أنا اسمي دينا سامي.. وحكايتي طويلة جدًا مع الحاج حليم اللي بعتلك الصور دي مع «**الصبي**» بتاعه.. الحاج حليم كان صاحب والدي جدًا.. وبعد ما والدي توفى ظهرت شخصيته المتوحشة وحاول يسيطر عليَّ بكل الأشكال وكأنه هايشتري قلبي بفلوسه، ولما فشلت كل محاولاته للتقرب مني وعرف إني بحب واحد تاني فكَّر إنه يخلص مني وبعت صورتي مع الصبي بتاعه هنا.

قلت: يقتلك؟؟ دا مجنون دا؟ لكن ليه بعتها لي أنا؟؟

قالت: هو مكانش المفروض يبعتها ليك إنت لكن للعمارة اللي جنبك.. لكن الصبي بتاعه «**حامد**» بعتها غلط لأنه برضو بيميل ليًّا شوية.

قلت: هو كمان؟؟ نهارك أزرق.

قالت: صدقني مش ذنبي.

قلت لنفسي: «فعلًا ليس ذنبك إنه ذنب عينيك العسليتين وكأنك خارجة من قول نزار: يا امرأة دوخت الدنيا»!

قالت: دلوقتي احنا لازم نهرب بسرعة.

قلت: ليه؟؟

قالت: لأن القاتل اللي في العمارة اللي جنبنا ها يعرف من الصبي أكيد الصور فين.. ممكن بعد الضرب والتعذيب الصبي يعترف ويقوله على مكان الصور.. وطبعًا المجرم دا عايز الصور لأنه عايز فلوس من حليم.

طرق الباب مرة أخرى في عنفٍ متصاعد ووجدتُ الصبي مضرجا بالدماء كما توقعت دينا وكأنه كان تحت وطأة ضرب وتعذيب عنيف:

الصبي: هي دي الشقة.

القاتل: فين الظرف يا أخينا؟؟

أنا: ظرف إيه؟؟

القاتل: ااه شكلك كدا فتحته وهاتسوق في العوج.. اقفل الباب.

أنا «في قلقٍ»: هاتعمل إيه؟؟

القاتل: هاتجيب الظرف بالذوق ولا لأ؟؟

تخرج دينا فجأة من الغرفة الأخرى وتقول مدافعةً عني: سيبوه.. هو مالوش دعوة بالحكاية دي كلها.

وفجأة يقول القاتل: دينا؟؟؟؟؟؟ إنتِ إيه اللي جابك هنا؟؟

دينا: سعيد؟؟؟؟ هو انت اللي وصوك بالمهمة دي؟؟؟

سعيد متلعثمًا: أنا.. أنا..

أنا: يا صلاة النبي.. دا هايقول أنا.. أنا.. هو انت كمان؟؟

دينا: إنت يا سعيد؟؟ إنت اللي المعلم بعتلك الصور عشان تقتلني؟؟؟ بقيت قاتل يا سعيد؟؟

سعيد: ولو قتلت الدنيا كلها يا دينا مقدرش أقرَّب منك.. أنا بحبك يا دينا.. بحبك من زمن ومتخيلتش إن المعلم باعتلي صورك إنتِ.. أنا فاكر إنه باعتلي صور زبون تاني؟؟

أنا في هستيريا: يا حلاوتكم.. حلاوتك يا دودووووو.

دينا: زبون؟؟وجالك قلب تنطقها يا سعيد؟ بقيت بتعامل البشر زي السفاحين؟؟

وفجأة:

المعلم حليم: متجمعين عند النبي.

الجميع في دهشة: الحاج حليم؟؟؟؟؟؟؟

يخرج مسدسهُ بثقلٍ واضح وتردد، ولكن سعيد يعاجله بلكمةٍ سريعة فتنطلق الرصاصة في الهواء وتبدأ المعركة داخل شقتي دون أن أكون أنا نَفسي طرفًا فيها.. كل ذنبي أنني استلمتُ الصور ووقعتُ في حبِ امرأة أحبها العالم أجمع على ما أظن!!

أنا: اهربي بسرعة يا دينا.. اهربي.

أمسكتُ بيديّ بسرعةٍ المعلم حليم وحاولت تكتيفه وفجأة أمسك سعيد القاتل المسدس وضرب رصاصتين اخترقتا قلب المعلم وهو بين يديّ.. سقطت الجثة في شقتي.. لأول مرة في حياتي أرى هذا المشهد.. وقفتُ مترنحًا مشدوهًا وأنا أنظر إلى الدماء حول السجادة وفوقها.. هرب الجميع وبقيت وحدي أمام الجثة.. وخرج الجيران جيمعًا بعد صوت الطلقات أمام باب شقتي **وهم يقولون:** لا حول ولا قوة إلا بالله.. عملت إيه؟؟ إيه اللي حصل؟؟

عندما ذهبتُ لقسم الشرطة لأولِ مرة أيضًا كنتُ أفكر بشيءٍ واحد وهو «**دينا**» تُرى أين هي الآن بعد هروبها من شقتي؟؟ لقد تخلصتْ من المعلم حليم، ولكن هل هي الآن مع سعيد القاتل أم مع الصبي الأحمق أم مع حبيبها السابق سبب كل هذه المشاكل وسبب اشتعال غيرة المعلم حليم؟

الظابط: مش ناوي تقول برضو مين اللي قتل المعلم حليم؟؟، خد بالك الموضوع مش سهل دا المعلم راجل واصل وليه تُقله والقضية كبيرة.

أنا: أقولك الحقيقة يا باشا؟

الظابط: يا ريت يا أخي وخلصني بقى.

أنا: الموضوع كله في جملة واحدة إن «**كله بيحب دينا**».

الظابط: نعم يا اخويا؟؟ دينا مين؟؟ إنت ها تستهبل؟؟

أنا: والله يا باشا ممكن ماتصدقنيش بس كل الحكاية عيون دينا.

الظابط: اااه دا زي عيون بهية كدا يا روح أمك؟؟ خدووووه من هنا ع الحجز.

عندما جلستُ في الحجز.. فكرت في أنه «**كهف أفلاطون**» عدتُ إليه مرة أخرى بعد أن عرفت نعمة الحقيقة المطلقة.. بعد أن لامست روحي في خارج عالمي.. عدت الآن للكهف وفي الخارج دينا طليقة وحرة كالطيور وأنا ألامس الخيالات على الجدران.. نعم يا أفلاطون لقد تركت أنا الحقيقة في الخارج وعدت لأوهامي.. الحب هو الحقيقة.. نعم يا أفلاطون إنه الحب.

وفي إحدى الشقق بالعادي:

تامر: حلوة القصة دي وكوميدية كمان وفيها حتة فلسفة بس يعني مش شايف إن شخصية دينا دي خيالية شوية؟؟

قلتُ: من ناحية إيه؟

تامر: يعني كل الشخصيات في القصة بتحبها؟؟ هو في شخصية كدا فعلًا؟؟ كله بيقع في حبها بسرعة كدا؟

قلت: يجوز.. ممكن تكون موجودة على الأقل في خيالي.. أعملك قهوة معايا؟؟

وعندما دخلتُ المطبخ سقطت دمعة من عيني.. إنه يراها شخصية خيالية.. إنه لا يعرف أنه الآن معي في الكهف.. وان الحقيقة في الخارج.. قد تكون القصة ساخرة.. قد تكون حزينة.. ولكن هذه الشخصية ليست خيالية.. أبدًا لم تكن خيالية. «**الجميع يحبها**» وتلك هي الحقيقة..

«**قد تكون بعض الكلمات على الأوراق ساخرة وهي تنزف دماء كاتبها**»!

عجبًا للكلمات..

الحقيقة رجل أم امرأة؟

سامي السباعي أو من يلقبونهُ في الجريدة بـ «**السيد/ س**»، قصير القامة ذو أنفٍ معقوف وبشرة خمرية وجبهة عريضة ولكنه مقبول إلى حدٍ ما.. زوجته السيدة «**سها الرداد**» سيدة أعمال لم تتزوج زوجها عن حب.. وإن كانت تتدعي هذا دائمًا أمام ضيوفها في سهراتٍ أرستقراطية مملة لا تسمع فيها سوى قهقهات وطرقعات ألف كأس.

سها الرداد كانت دائمًا تؤمن بأنها ستكون لمحمود الشريف، ولكن محمود سافر إلى الخارج خوفًا على هذه العلاقة وخصوصًا أنه لن يستطيع ولو بعد ألف عام أن يصل لمستوى أسرة الرداد؛ ففضَّل أن ينسحب في هدوءٍ تاركًا وراءهُ قلبًا كسيرًا وعلاقة زواج رتيبة تقليدية من بعدهِ وهي علاقة سامي وسها، رغم أن سامي كان يعشق سها من قبل حتى أن يعشقها محمود في أيام الجامعة إلَّا أن قلب سها الكسير لم يتلذذ إلَّا بكسرِ قلب عاشقٍ آخر وهو سامي، كانت مثالًا للزوجةِ المتسلطة كاسرة القلوب وكان جمالها الذي هو أشبه بقنبلةٍ هيدروجينية فاطرة لنبضاتِ القلوب كفيل بأن يعذب سامي أكثر وأكثر.

ردود سامي السباعي في جريدته على العاشقين والعاشقات لم تكن إلَّا مواساةً لنفسهِ؛ فأحيانًا مواساة قلبٍ جريح قد تواسي في نفسِ الوقت قلبك الجريح، فالعاشق كالطبيب يجد أحيانًا في تضميد الجراح راحة له ولغيره.

وفي منزل سها الرداد «لن أستطيع أن أكذب عليكم وأقول في منزل سامي السباعي لأن سها صاحبة المنزل وصاحبة العصمة وصاحبة كل شيء:

سها: إيه اللي انت كاتبه دا النهاردة يا سامي يا حضرة المتيم الولهان؟

سامي: ماله بس يا سها يا حبيبتي.

سها: مش عارف ماله؟، عمال تقولها اوعي تدوري على الحب وهو اللي هايجيلك.. ذنبها إيه بنت زي دي تقعد تشتغلها بكلام زي دا وهي لسه مراهقة.. أومال إنت ليه لعبت براس بابا واتجوزتني عشان فلوسنا يا سامي؟ فين بقى الحب في الموضوع دا؟

سامي: سها أنا عمري ما اتجوزتك عشان فلوسك إنتِ عارفه كويس إني بحبك من سنين ومصرة تنكري دا عشان لسه محتفظة جواكي بمشاعر لمحمود.

سها «صارخةً في وجههِ بحدة»: محمود محمود.. قرفتني بمحمود يا أخي.. تعرف إيه انت عن محمود.. تيجي إيه انت جنب محمود..

سامي في غضبٍ نادر: كفاية بقى يا سها ذل وإهانة.. أنا حبيتك زي ما هو حَبِّك بل أكتر منه.. إنتِ اللي مش بتدي قلبك فرصة يشوف النور من جديد.. شوفي أنا بعمل إيه علشانك طول فترة جوازنا وانتِ حتى مش راضية ومش قابلة فكرة إن يكون ليا طفل يملى علينا البيت.. مش عايزة أي حاجة تكون مني.. ليه بتكرهيني يا سها رغم إني مقتول في حبك؟ لييييه؟؟؟

تخرج سها وتغلق الباب في غضبٍ عارم ويجلس سامي كالعادة كسيرًا حزينًا أمام جبروت تلك المرأة التي لم تعشقه يومًا وما زال يعتنق الأمل وفي ظنهِ أن سها ستحبه في يومٍ ما أو على الأقل تدرك مشاعره نحوها.

في بريد جريدة «الحب»:

عزيزي السيد/ س.

لا أعرف لماذا لم أجد الحب في حياتي حتى الآن.. الحب الحقيقي الذي يتحدث عنه أصدقائي وأقرأ عنه في كلِ كتاب.. أنا عمري ١٩ سنة ولكني لم أشعر أبدًا بمشاعر تجاه رجلٍ ما، هل المشكلة في أنا أم أن الحب يأتي بالصدفة؟، أنا في انتظار ردك يا سيدي.. هل الحب صدفة أم اختيار؟

المرسلة /مروة.ط.

عزيزتي مروة.ط:

نعم أنا أشعر بك.. ربما تكونين في مرحلة «**المجاعة الروحية**» وهو أبلغ تشبيهٍ للحب تحدث به جبران خليل جبران.. أشعر بمجاعتك الروحية وشوق روحك ولهفتك إلى الغرام.. سأحكي لكِ قصة قديمة عن رجلٍ قالوا له «**مقدار ما تذهب في الأرض سيكون لك**» فطمع الرجل وظل يجوب الأرض كلها ويحيط بها لتكون ملكه حتى مات ولم يحصل على شيء..

هذه القصة بالنسبةِ لي يا صديقتي وكأنها تتحدث عن الحب، إنكِ إن بلغتي عرض الكون وطوله لن تحصلي على الحب اختيارًا.. نعم الحب صدفة جميلة صادقة.

الحب يا مروة ليست لحظة البحث عن الملائكة ولكن استسلامك لهم.. نعم يا عزيزتي الحب لحظة استسلام كاملة يتبعها السلام الروحي الأبدي.

هناك أبيات من الشعر تعجبني عن صدفة الحب للشاعر عدنان الصائغ يقول فيها عن الصدفة:

مصادفةً سأقولُ: لكِ أنَّ الحياة.. ..

صدفةٌ كبيرةٌ.

صدفةٌ غبيةٌ.

صدفةٌ رائعةٌ.

صدفةٌ لا معقولةٌ.

إياكِ أنْ تفكري بها بعقلٍ يا مجنونتي!

ربما سنلتقي..

في مصعدٍ مزدحم أو فارغٍ إلَّا من وجيبِ أنفاسنا المتلاطمةِ.

وأنتِ تصعدين باصَ الحبِّ.

وأنا أنزلُ..

وأنت تفتشين عن رقم كرسيكِ.

في قاعةِ المسرحِ المظلمةِ.

وهناك أغنية رقيقة لمطربٍ شهير وهو «فيل كولينز يقول فيها عن نفس الموضوع:

you can't hurry love.. you'll just have to wait.

نعم يا مروة كما قلتي في كلماتك الرقيقة إنها صدفة ولا تظني أبدًا أنَّ الحب سيكون لحظة اختيار فكما رأيتي في الأبيات الشعرية سأقول لكِ «**إياك أن تفكري بها بعقلٍ يا مجنونتي**» إن سمحتي لي أن أقول لكِ يا مجنونتي، وأرجو أن تسمحي لي فكلِ قلبٍ حنونٍ عاشق للحب مثلك؛ مجنون ولكنه الجنون المحبب للحياة.

في إحدى الشقق في منطقةٍ شعبية:

رشا النداغة: اشرب اشرب محدش واخد منها حاجة.

سامي: بس لسه مقولتليش ليه سموكي نداغة؟

رشا: لا دا موضوع كبير وبحُكم شغلتي بقى سموني كدا.

سامي: بس إنتِ عليكِ عود يا رشا إنما إيه.. والنسوان نوعين قرص في الخدود أو لعب في العود.

رشا تضحك بنبرةٍ رقيعة: هي هي هي دا إنت صايع قديم بقى.

سامي: يعني تقدري تقولي كدا صايع بس واخدها منازل هههههه.

رشا: تحب أرقصلك الأول؟، بس دا هايكلفك عشرين يورو زيادة.

سامي: يا واد إنت يا عالمي يا بتاع اليورو هههه ارقصي ارقصي.

بعد مرور شهر:

سها: استنى عندك يا سامي شنط هدومك قدام الباب.. والبيت دا مش هاتعتبه تاني.

سامي: إيه الكلام دا يا سها؟

سها: مش عارف إيه الكلام دا يا حقير؟؟

مش عارف اللي انت عملته في بنات الناس؟

سامي: عملت إيه يا سها؟ أنا مش فاهم حاجة.

سها: رشا اللي حضرتك قضيت معاها الليلة وسكرتوا من فترة كانت عندي هنا وقالتلي على كل حاجة، وقالتلي إنك سكرت يومها وقولت كل تفاصيل حياتك ليها وقولتلها كنت بتعمل إيه في البنات اللي بتبعتلك سرها على البريد وبيدوروا على الحب وبتستغل إنهم مراهقات وبتمثل عليهم يا جبان لحد ما تاخد غرضك منهم.. طلعت واطي.. عمري ما تخيلتك تعمل كدا أبدًا.

سامي: لكن يا سها دي كذابة.

سها: وهتكذب ليه.. كل البنات اللي بعتتلك ومنهم مروة كنت بتابعهم بعد كدا وفعلًا كانوا بيبعتوا رسالة تانية وتالتة يحكوا بعدها إنهم اتخدعوا وتقلب إنت نبرتك وتتكلم عن الخداع وتواسيهم.. طبعًا ما يعرفوش إنك إنت «**السيد. س**» نفسه.

إنت مريض يا سامي إنسان قذر ومريض.

سامي: كذب كذب أنا عمري ما خدعت حد.. أنا بحبك يا سها وعمري ما حبيت غيرك.

سها: تقدر تقول إنك انتقمت وخدت غرضك كويس من بنات الناس.. على الأقل يا أخي كنت باحترمك.. طلعت ندل ووقح.. اتفضل اطلع برة.. برررة بقولك.

من الغريب إن سامي في تلك اللحظة كان سيُقدم لسها مقدمة قصيدة كتبها لها خصيصًا؛ تُعبِّر عن حياتهم معًا وحبهِ لها وهروبها من حبهِ الكبير وهي قصيدة اشبه بحوارٍ بينه وبينها **وكانت الورقة التي في يده مكتوبًا فيها:**

هي: ومين قال إن أنا من الحور؟

دا أنا ليلى بجناح مكسور.

فراشة ألوانها أوجاعها.

ودمعة عينها مش بلور.

وسر لزهرة محنية.

بتسْكَر بالندى وبتدور.

وشهقة حزن منسية.

بتخلق من وجوعها قصور.

ومين قال إن أنا من الحور؟

هو: ومين جايب في سيرة الحور؟

أنا قلت انِّك الجنة.

بحني أنيني في مداكي.

واعود للدنيا واستنى.

واحضَّر شهدي برموشك.

وادعي الحب واتمنى.

نعم نعم سيظن القارئ الآن إنها قصة الانتقام التقليدية من امرأةٍ كسرت قلبه فظنَّ أنه قادر بطريقتهِ الخاصة أن يكسر كل قلوب النساء في شخصِ سها.. ولكني أحببتُ أن أغيِّر النهاية قليلًا سامحوني إن خالفتَ توقعاتكم!، فمن الممل أن تكون كاتبًا متوقعًا.. فأجمل النهايات هي التي لا تتوقعها إلا نهاية الحب.

وفي إحدى الكافيهات في منطقةِ السيدة زينب:

رشا النداغة: لا يا أُختي أنا لسه ماخدتش المعلوم كله.

مروة: ما انا اديتك الألف جنيه اللي اتفقنا عليها.. عايزة إيه تاني؟

رشا: أنا في إيدي السر كله.

مروة: دا انتِ ها تستغليني بقى.

رشا: والله كلك نظر يا ست مروة.

مروة: هو انتِ عملتِ حاجة؟ دي كلها حكاية مُفبركة وهو ولا قابلك حتى في شقة ولا نيلة.. دا انا اللي مألفة حتى كل دا وانتِ يا دوب نفذتِّي؟؟، إنتِ ليه محسساني إنك نمتي معاه يا رشا؟

وفي منزل مروة:

تمسك مروة صورة سامي السباعي **وهي تقول ضاحكةً بهستيريا مريبة:** «**أخيرًا بقيت ليا.. أخيرًا تخطيط السنين نجح وبقيت لمروة حبيبتك اللي هاتحافظ عليك يا سامي يا حبيبي.. أيوه أنا مروة وانا ساندي وانا سالي وانا اللي بعتِّلك بأسماء دول كلهم وبعت بعديها إنهم اتخدعوا من راجل مجهول ورديت علينا كلنا واحنا اصلًا واحد.. سامحني يا سامي اضطريت أعمل كدا عشان مراتك تدخل عليها اللعبة كاملة.. اضطريت يا سامي لأنك ما ينفعش تكون غير ليا أنا.. سامي ومروة وكارت فرح صغير.. أكيد في يوم هايجمعنا يا حب عمري كله يا سيد. س».**

سيظن البعض الآن أنها قصة مروة المريضة نفسيًّا التي تريد أن تستحوذ على قلب من تهواه سرًا وتراسله في الجريدة.. ربما ولما لا.. ولكن ما زالت النهاية لم تقترب حتى!

في أحد الأماكن الراقية بالقاهرة وداخل قصرٍ كبير:

سامي: أخيرًا خلصت قصتي اللي هاختم بيها المجموعة الجديدة.. اسمها «**مذكرات السيد. س**».

نهلة: طيب ممكن أقرأها الأول؟

سامي: لا خليها مفاجأة أحسن.

قال سامي لنفسه في حزنٍ بعد أن أغلق مكتبه: «**ما أجمل أن تكون شخصيات هذه القصة جزء من حياتي الزوجية المملة.. زوجة هادئة وقورة تحبني وأطفال سعداء وأموال لا تنتهي.. أين الإثارة؟ أين التنافس ومشاعر الكره والحب والغيرة؟ أسرة مسالمة عادية جدًا بل عادية أكثر من اللازم.. لا أهرب من روتين حياتي الزوجية إلَّا بشخصياتِ القصص الخيالية**».

ربما تظنون الآن أنها قصة سامي الذي يرفض حياته الطبيعية المملة ويحتاج أن يعوضها بشخصياتهِ الخيالية.. أي يهرب من لغة الواقع إلى ملجأ الخيال ولكن صبرًا..

في إحدى حفلات التوقيع في الزمالك:

صحفية: أستاذة سها شوفنا شخصية سامي أكتر من مرة وفي كل مرة مفاجأة لكن أي شخصية فيهم هي حقيقة سامي؟

سامي في الأول شُفناه بيخدع مراته وفي مرة تانية شُفناه هو المخدوع من رشا ومروة وفي التالتة طلع إنه بيتمنى يكون شخصيات القصة دي.. أي سامي من دول هو النهاية؟

سها: في الحقيقة مافيش نهاية لشخصية سامي.. سامي هو الرجل الشرقي عمومًا.. ممكن يلبس دور الضحية وممكن دور الجلاد ودور المتمرد على حياته.. سامي جوة كل راجل شرقي لكن بدرجات متفاوتة..

وفي آخر الصفوف شاب قصير يخلع نظارته السوداء ويضحك بسخريةٍ من وراء الصحفيين ويقول لنفسه: قد إيه الستات قوية.. بتخدعني وتكسر قلبي وبعدين تطلَّعني في قصة إن أنا اللي معقد وجلاد أو ضحية أو متمرد.. آه لو يعرفوا كلهم الحقيقة!!، لكن فين هي الحقيقة.. الحقيقة هي الشيء اللي بتلونه النساء كيفما تشاء.

تنظر سها إلى شاشة «الموبايل» لصورة سامي وتقول لنفسها: ليه عملت كدا فيا يا سامي؟؟ ليه؟؟

نهايات ونهايات ولكن أين الحقيقة في كل هذا؟؟ رجل كاسر للقلوب أم امرأة كاذبة.. ستختار أنت الحقيقة كيفما تريد أن تراها.. فلو كنت رجل؛ ستقول سها هي المخادعة ولو كنتِ امرأة مكسورة القلب؛ ستقولين أنَّ سامي هو كل رجلٍ شرقيّ.. وكما قالوا كلٌّ يغني على ليلاه.. وتظل الحقيقة كالجنِي داخل المصباح.. دائمًا وأبدًا.. بلا يدٍ تحنو عليها ولا تُخرجها من مصباحها.. !

شبح لانا ديل راي

الحب.. وما هو الحب.. ؟ إنه فقرة الساحر المفضلة.. الفقرة التي يرفع فيها جسد الأميرة بلا حبالٍ ترفعها أو خيطٍ يشدها.. وسط دهشة الجمهور.. ولكن الجمهور من زهرِ البنفسج.. هل عشقتم من قبل؟؟، لن تعشقوا إلا إن سمعتم تصفيق البنفسج وعرفتم من هو الساحر!

نعم عشقت وفارقت.. واسمعوني جيدًا حينما أقول لكم إن أكثر الرجال حزنًا هم اثنان: رجلٌ قلبه دون حب.. ورجلٌ حبه دون قلب.. ومن فَارق ليس من هذين النوعين.. فإنه رجلٌ يلعب لعبة الكراسي الموسيقية مع السعادةِ والأوهام في انتظار عودة حبيبته.

أنا رجلٌ نبت الحب بين مآقيه تيوليب ولَيْلَك..

أنا رجلٌ دار حول شمس الحب كوكبًا وشهقة مغامر..

أنا رجلٌ مستثني من الأشعار والزجل لأن بحر حالته أعتى من حالةِ بحار الشعر..

أنا رجلٌ عشق حتى قال له القمر «**هيتَ لك**»..

أنا رجلٌ أصبح مثل عفريت علبة الحب لكلِ عاشقٍ جديد..

أنا حالة فصام الحب.. ويتهمونني بالجنون حينما أقول مجازًا «**أنا الحب**»!

الفراق هو انتظار المزيد وليس المزيد من الانتظار.. الفراق هو الغروب ولكنه ليس النهاية.. هي مجرد فضفضة معكم قبل أن أحكي لكم «**قصة البلاطة الخضراء**».. سيقول البعض منكم ولماذا كل هذه المقدمة؟ ولكن المعنى في بطنِ «**العاشق**».

بدأت القصة منذ ثلاثة شهور حينما رأيت الأرض تتحرك تحت أقدامي فجأة.. تعجبتُ في البداية ولكني خفتُ في النهاية.. قلتُ ربما كانت البلاطة تهتز لأنها غير مثبتة جيدًا.. رفعتُ سجادة الغرفة فوجدتُ بلاطة غريبة لونها أخضر مختلفة عن كلِ ما حولها.. قلتُ ربما وضعوها هنا قبل حضوري لهذا المكان لأنَ البلاطة الأصلية قد كُسِرت.. تركت الوضع كما هو عليه كعادة الخائف ربما تنصلح الأمور وحدها وهذا ما لا يحدث أبدًا..

بعد أيام من أول حركةٍ لهذه البلاطة مررتُ فوقها مرة أخرى ولكن الوضعً زاد سوءًا، لقد تحركت بعنفٍ هذه المرة حتى أنني خفتُ أن أرفع السجادة لأنظر ما يحدث.. تركتُ الغرفة ونمتُ في الغرفة المجاورة.. أيام أخرى ولم تتحرك البلاطة الخضراء.. بدأتُ ألاحظها وجعلت لها نوتة خضراء أيضا لمراقبة تحركات البلاطة الخضراء.

لا أعرف ما يحدث لقد ظننتُ في البداية أنها هلوسات عاشق قد فارق حبيبته ولكن الحركة تزداد.. فكرت أن أقول لأصدقائي ولكنهم بالطبع سيتهمونني بالجنون، فتركت الأيام تمضي وحركة البلاطة الخضراء تزداد ضجيجًا حتى وصلت إلى مسامعي في الغرفةِ المجاورة.. عندما استيقظتُ وفتحت «**كشاف الهاتف**» لأن التيار الكهربائي كان مفصولًا.. وجدتُ السجادة تحركت من مكانها لمسافةٍ قصيرة.. فكرت أن أستعين بكاميرا كما يفعل أبطال الأفلام الأمريكية ولكن قلت إنني دخلت في مرحلة الهلوسة.

في أحد الأيام في العمل دخل عليَّ أحدهم وقال: أحدهم ترك لك ورقة بالخارج.

قلتُ: ومن هو الذي تركها؟

قال: لا أعلم لقد مَشَى مسرعًا.

أمسكتُ الورقة بلهفةٍ وقرأت ما فيها وتعجبت من هذه الكلمات: ψυχή κίνησις - Sleepwalking

Charles Bonnet ـ الاحتمال الرابع

هرولتُ سريعًا للخارج كي ألحق الرجل الذي ترك لي الرسالة ولكني وجدت «**الأسانسير معطلًا**» ولا يوجد أحد على السلم.. كيف نزل كل هذه الأدوار بهذه السرعة؟

دخلتُ بسرعة كالمجنون إلى الكمبيوتر وبحثتُ على الإنترنت فوجدت أن أول كلمة باليونانية وهي لتحريك الأشياء عن بُعد بواسطة العقل!، ولكن من هو الذي يُحركها وكيف يحركها من مسافاتٍ بعيدة أم أنه معي في الشقة؟؟

أما الثانية فهي بالطبع معروفة أنها المشي أثناء النوم ومكتوب فيها: «**قد يقوم المريض بأنشطةٍ معقدة كقيادة السيارة مثلًا أثناء النوم**»!! تُرى هل أنا من أُحرك البلاطة مساءً وأتعجب منها صباحًا؟؟

أما الحالة الثالثة فهي متلازمة شارل بونيه وبالبحث عنها وجدت: هي حالة مرضية حيث يعاني المريض من هلوسةٍ بصرية معقدة اكتُشفت من قبل شارل بونيه في عام ١٧٦٩.

يفهم الأشخاص الذين يعانون من متلازمة شارل بونيه أن الهلوسة ليست حقيقية والهلوسة هي فقط بصرية».

ولكن ما هو الاحتمال الرابع؟؟، ومن هو الذي عرف حكاية البلاطة وأرسل هذه الورقة المليئة بالاحتمالات لحالتي؟؟، أنا لم أحكِ لأحدٍ عن قصة البلاطة أبدًا!!، هل أكون رويت القصة لأحد أصدقائي عن طريقِ الخطأ؛ فقرر أن يلعب معي هذه اللعبة الغريبة؟

لماذا أصبحت الأوهام جزءً من حياتي فجأة؟، ولماذا أصبح الخوف هو الحاكم بأمرهِ بعد الفراق.. الخوف من كلِ شيءٍ.. الخوف المطلق.. الخوف المسيطر والمالك والمنذر والنذير!

ذهبتُ إلى الأطباء أتاكد من كل شيءٍ ولكني لا أعاني من هلاوس بصرية ولا أسير أثناء النوم.. تُرى هل هو الاحتمال الرابع هو ما يحرك هذه البلاطة الغريبة؟؟، ولكن وقبل كل شيء ما هو الاحتمال الرابع؟

وفي أحد المقاهي في الحسين مع مجموعة من الأصدقاء:

قلتُ: سأحكي لكم قصة غريبة جدًا حدثت لأحد الأصدقاء.

وبدأتُ أحكي لهم قصة البلاطة على أساس أنها حدثت لصديقٍ لا يعرفونه كي لا يسخرون مني.. فالكل يحكي حكايته ويقول في النهاية أنها لصديقٍ ولا نعرف من هو الصديق الوهمي صاحب كل هذه الحكايات!

قال أحدهم: إنه مجنون.

وقال الآخر: بل إنه ربما ملبوس.

وكان الرجل العجوز في الكرسي المجاور ينظر إلينا بنظرةٍ غريبة وقال: عذرًا على تطفلي ولكني سمعت حكايتك وقلت لنفسي يالها من فكرةِ قصة، أليس من الممكن أن يكون تحت البلاطة رسالة حب مثلًا لحبيبته؛ تقول له فيها ألا يتركها أبدًا ولا يعشق بعدها؟ ربما ستكون قصة جميلة جدًا.

جلس معنا الرجل فترة طويلة نتحدث فيها ثم أعطاني الكارت الشخصي له وهمَّ بالانصراف.. يقول الكارت أنه

صاحب شركة مقاولات كبرى في القاهرة ربما يكون لي نصيبًا في العمل معه.

اتصلتُ بالشركةِ لأسأل عن الرجل بعد خمسة أيام فلم أستدل على الرقم واتضح أن الرقم لمنزلٍ شخصي ولا توجد شركة بهذا الاسم..

لماذا أعطاني كارت وهمي؟، لماذا تعرَّف عليَّ في الأساس إذًا؟، وفجأة وأنا أقلِّب الكارت وجدتُ كتابة صغيرة جدًا مكتوب عليها «**الاحتمال الرابع**»!!!

ارتجفتُ فجأة لأني لم أحكِ لهم عن قصة الاحتمالات ولا قصة الرسالة ولا عن الاحتمال الرابع، لقد حكيت لهم نصف القصة فقط عن البلاطة الخضراء التي تتحرك ولم أحكِ لهم عن الرسالة أبدًا فكيف عرف كلمة الاحتمال الرابع.

انطفأ النور مرة أخرى في نفس الموعد وتحركت البلاطة.. قمتُ بجرأةٍ في هذه المرة وبقلبٍ مقتول ورفعتُ السجادة بهدوءٍ وفتحتُ بطارية الهاتف وأخذتُ أدق على البلاطة بشاكوشٍ لأخرجها من مكانها وأرى ما يُحركها.. كان الرعب هو أهون الحاضرين.. ما رأيته هوى بقلبي إلى أخمص قدميّ.. كأنني قابلتُ الخوف شخصيًا.. وكانت آخر صيحة لي أذكرها «**ليه يا حبيبتي.. عمري ما حبيت غيرك.. أنا عمري ما حبيت غيرك**».

في المستشفى:

صديق: أنا قلقان عليه قوي يا طنط بقاله شهر كامل ما اتحركش من السرير وكأنه في غيبوبة.

الأم: مش عارفة يا ابني إيه اللي حصله فجأة، آخر حاجة عملها في الشقة إنه كسَّر بلاط البيت وبعدها اترمى وعينه مفتوحة من صدمة رهيبة وجاله انهيار عصبي.

صديق: كل يوم ما بيتحركش غير مرة واحدة ويقوم يفتح نفس الأغنية وما بيعرفش ينام إلَّا على الصوت دا.. هو إيه علاقة الأغنية دي يا طنط باللي حصله؟

الأم: يا ابني دا لغز غريب وماحدش هايفسَّرُه غيره.

كانت الأغنية هي.

Lana Del Rey ـ Summertime Sadness.

جاء خبر انتحار «**ندى**» الحبيبة السابقة ورسالة مكتوب فيها «**كنتُ أعرف.. كنتُ أعرف جيدًا**».

أنا الآن في مكان غريب عني.. وهذه القصة بلا أسماء.. سوى اسم أغنية واسم مطربة واسم «**ندى**» حتى اسمي لم أذكره ولا اسم أصدقائي ولا اسم الرجل العجوز.. ثلاثة هم من ذكرتهم فقط والباقي مجرد ضمائر وإشارات.. لماذا ذكرت ثلاثة فقط؟

هل لأنني ما زلت أخاف من الاحتمال الرابع؟؟
أرجوكِ دعيني أُكمل لهم.. لا تقاطعيني.. من؟؟
ندى؟؟؟؟؟ تبا!!!
هل هذا حقًا تصفيق البنفسج؟؟

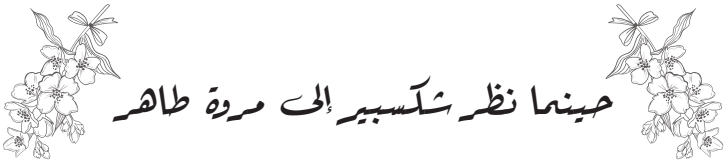

العلامات الشهيرة لوجوهِ المجرمين لم تظهر يومًا على وجهِ «**أحمد علي**» فهو شاب في مُقتبل العمر، وسيم إلى حدٍ ما، دائم الإبتسام وأحيانًا بدون سببٍ واضح، ذو شعرٍ ناعم وذقن خفيفة أسفل الوجه تُسمى في أيامنا هذه «سكسوكة».

لا نعرف تحديدًا كيف يكون هذا الشاب المتفوق في دراسته في هذا الموقف الآن.. يقف وسط بركةٍ من الدماء ويكتب بعض السطور بنهم المجرم المتعطش للون الأحمر.. وقف يمسك بالقلم ويرتعشَ ارتعاشةً واضحة تظهر في خطه **وهو يكتب إحدى سونيَتات شكسبير:**

«العنصران الآخران، الهواء الرقيق والنار النقية، كلاهما لديك حيثما أكون: الأول فكري والثاني رغبتي، هذان المتحركان بيننا دائمًا في الحضور والغياب».

شكسبير.. سونيت ٤٥

ألقى الورقة فوق الجثة وخرج يرسم ابتسامته المعتادة والتي تظهر في هذه الحالة وبعد جريمة قتل.. حالة تبلد شديدة الغرابة وكأنه من المجرمين المتمرسين الذين يظهرون في الأفلام الأمريكية والذين يتلذذون بالتعذيب على نغمات الموسيقى!

استيقظ من نومهِ مفزوعًا منزعجًا وهو ينظر إلى صورة حبيبته «**ليلى**» في يدهِ والتي يضعها دومًا تحت الوسادة وكأنها حقنة مهدئة أو زهرة بنفسج جميلة تُنسيه آلام الكوابيس وجنونها وغيبياتها.. **أخذ يُكلم الصورة قائلًا:** مش عارف يا ليلى إمتى هتخرج الكوابيس دي مني.. إنتِ الحاجة الوحيدة اللي بتخرجني من الحالة دي يا حبيبتي.. أنا لو صحيت وما لقيتش صورتك قدامي ممكن أموت من الخوف.. إنتِ الأمان في عالمٍ كله خوفٍ وقلق..

١٩٩٨/١/٢٢

«**عبير الدهان**» فتاة رقيقة في منتصف العشرينات.. ولكنها ترقد الآن في سلام وفوق رأسها ورقة بيضاء يمسكها أحد أطباء الطب الشرعي **ويقرأها:**

«**لا مخاوفي الخاصة، ولا روحي المتنبئة التي تحلم بالأشياءِ المقبلة في هذا العالم الواسع يمكنها السيطرة على مصير حبي الصادق الذي يخضع لدورةِ المصير المعلوم**».

شكسبير.. سونيت ١٠٧ »

استيفظ أحمد مرة أخرى وهو يلعن الكوابيس القبيحة **ويقول لنفسه صائحًا:**

ليه أنا بالذات.. ليه يا ربي دايمًا الخوف مصاحبني واصحى كل يوم عرقان وخايف من اليوم اللي بعديه.. ليه المستقبل كله قدامي بلون الدم والخوف والحاضر مجرد انتظار لكابوسٍ منتظر؟».

حكى لأحد أصدقائه وهو «سمير عبد الحي» على كوابيسه فقال له: بص يا أحمد أنا أعرف واحد كويس في موضوع تفسير الأحلام دا لو عايز تروحله أنا تحت أمرك».

أحمد: يا ريت يا سمير تدلني عليه لأني بجد بقيت مش عارف أعيش حياة طبيعية.

وفي بيت الدكتور «طاهر الأرضي»:

دكتور طاهر: اتفضلوا أهلًا وسهلًا نورتونا يا شباب.

سمير: دا أحمد صاحبي يا دكتور اللي كلمتك عنه وعن كوابيسه الغريبة.

دكتور طاهر: أهلًا وسهلًا يا أحمد.. سمير حكالي عنك كتير وانك من أعز أصحابه ونفسه يساعدك.

أحمد: أنا متشكر ليك جدًا يا دكتور وان شاء الله ألاقي الحل على إيدك.

دكتور طاهر: خير يا أحمد احكيلي بالتفصيل إيه اللي بتشوفه في الحلم.

أحمد: أنا بشوف إني بقتل باستمرار وكلهم بنات وكل بنت بقتلها برمي جنبها سونيتة لشكسبير.. أنا فعلًا بحب شكسبير جدًا وكل أصحابي عارفين كدا لكن إيه معنى إنه يخليني أقتل في الحلم؟

دكتور طاهر: شوف يا احمد الموضوع ممكن يكون مشكلة نفسية أو ظروف معينة مرَّت بيك وبتحاول عن طريق اللا وعي التنفيث عن الغضب اللي جواك ولكن من ناحية تفسير الأحلام فدا كتاب لابن سيرين وانا علِّمت لك على السطور اللي تخص ناحية رؤية القتل في الأحلام ممكن تبص عليها **ونتكلم عنها مع بعض:**

من كتاب ابن سيرين: «من رأى أنه قتل إنسانًا، فإنه يرتكب أمرًا عظيمًا، وقيل إنه نجاة من غم لقوله تعالى {وقتلت نفسًا فنجيناك من الغم وفتناك فتونًا} ومن رأى أنه يقتل نفسه أصاب خيرًا وتاب توبة نصوحا لقوله تعالى {فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم} ومن رأى أنه يقتل؛ فإنه يطول عمره، ومن رأى كأنه قتل نفسًا من غير ذبح أصاب المقتول خيرًا، والأصل أن الذبح فيما لا يحل ذبحه ظلم، وإن رأى أنه ذبحه ذبحًا؛ فإن الذابح يظلم المذبوح في دينه أو معصية يحمله عليها، وأما

من قتل أو سمى قتيلًا وعرف قاتله؛ فإنه ينال خيرًا وغناء ومالًا وسلطانًا».

أحمد: بس أنا خايف يا دكتور جدًا والأحلام مسببة لي قلق باستمرار والغريبة إن السونيتات بتاعة شكسبير وكأنها ماشية بالترتيب من تحت لفوق.. وكأنها عايزة توصلِّي حاجة أنا حافظ كل تفاصيل الحلم.

دكتور طاهر: شوف يا أحمد إنت أكيد عارف كارل يونغ العالم الشهير وأحد رواد علم النفس.

أحمد: عارفه اكيد.

دكتور طاهر: يونج كان ليه تحليل إن الأحلام بتكشف عن حقائق فعلًا وساعات بيكون فيها صدق لتوقعات مستقبلية.. يعني نقدر نقول يا أحمد إن الأحلام تنفيث أو توقع.

أحمد: تنصحني بإيه يا دكتور؟

دكتور طاهر: شوف أنا قارئ لعلم النفس ولكن مش متخصص فيه وانا أنصحك ما تستهترش بكابوس دائم ومتكرر بنفس النمط وانصحك بإنك تعرض نفسك على طبيب نفسي ودا رأيي يا أحمد.

في هذه اللحظة دخلت «**مروة**» بالمشروبات للضيوف وكأنها لحظة شروق.. حجاب ذو ألوانٍ منمقة جميلة وعينان كأنهما كأسي خمر وشفاه دقيقة رقيقة وخدود متوردة وكأنها تعريف جديد للأنوثة الكاملة.

قال دكتور طاهر: دي بنتي مروة طالبة في كلية الحقوق.. دا يا مروة الأستاذ أحمد صاحب سمير جارنا خريج حقوق برضو.

قالت مروة في خجلٍ: فرصة سعيدة يا أستاذ أحمد حضرتك دفعة كام؟

أحمد: أنا في سنة رابعة حاليًا.

سمير: أحمد يا ستي من الطلبة المتفوقين جدًا وكل سنة بامتياز.

الدكتور طاهر: ما شاء الله يا أحمد دا انت تشرح بقى لمروة بعض الحاجات اللي مش فاهماها لإنها مغلبانا في سنة تانية وشايفة إنها أصعب سنة.

أحمد: أكيد يا دكتور أنا ما عنديش أي مانع.

وهكذا تنشأ بعض العلاقات من مجرد صدفة ولا ننكر أن الإعجاب كان متبادلًا أيضًا بين أحمد ومروة من أول نظرة ولكن الإعجاب يحتاج لتعدد اللقاءات لتوطيده لدرجة «**حب بامتياز**».

شهور مرت على الدروس القانونية والشرح المستمر من أحمد لمروة في منزل الدكتور طاهر والعلاقة تزداد توهجًا وتألقًا يومًا بعد يوم حتى صارحها أحمد بحبه وصارحته هي بحبها له أيضًا.

٤/ ٤/ ١٩٩٩

«سالي عبد الدايم» فتاة عشرينية جميلة مخضبة بالدماء على كرسي متحرك مقتولة وبجوارها ورقة **مكتوب عليها:**

«**واصلي إذًا أيتها الحبيبة كرهك لي لأني أعرف الآن أفكارك أنت تحبين أولئك الذين يستطيعون الرؤية وانا رجل أعمى**»

شكسبير.. سونيت ١٤٩

وطبيب الطب الشرعي يصيح غاضبًا: أحمد إنت قتلت تاني؟؟، إنت مجرم مجرم يا أحمد مجررررررررررررم حقيررررر.

استيقظ أحمد مفزوعًا من كابوسه الجديد وصرخ قائلًا:أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنا ما قتلتش حد ما قتلتش حد.. عايزين مني إيه.

نظر مرة أخرى إلى صورة حبيبته الأولى وقبَّلها وقال: حبيبتي إنتِ الحلم اللي بيخليني أنسى كل كوابيسي وألمي وحزني في الدنيا.

بعد فترةٍ في منزل الدكتور طاهر:

زوجة دكتور طاهر: طاهر عايزاك في موضوع.

دكتور طاهر: خير يا أميمة؟

أميمة: بنتك بتحب جديد.

دكتور طاهر:؟؟؟

أميمة: لقيت الورقة دي في كشكول المحاضرات وانا بنضف الأوضة وواحد سايبلها شعر.

دكتور طاهر: شعر إيه؟

أميمة: كاتب مش عارف سونيتة إيه وشوية أرقام تحتها.

فزع دكتور طاهر من ما قالته أميمة ووضع يده على فمه وهرع على الغرفةِ مذعورًا ينظر إلى الورقة التي تحدثت عنها زوجته ومكتوب فيها:

«الحب صغير جدًا على معرفة معنى الوعي ومع هذا فمن ذا الذي لا يعرف أن الوعي وليد الحب؟ لا تحشدي التهم ضدي إذًا أيتها المخادعة الرقيقة كي لا يثبت أن المدان في أخطائي هو ذاتك الجميلة».

«شكسبير.. سونيت ١٥١

٤٥

١٠٧

١٤٩

١٥١

هكذا كانت الورقة المليئة بالأرقام والشعر الشكسبيري كما رآها الدكتور طاهر.

جرى الدكتور طاهر إلى سماعة التليفون واتصل بسرعة بسمير صديق أحمد ليسأل عن مكانه وعرف أنه آخر مرة رآه كان بيشرح لمروة بعض المحاضرات ولم يرَهما بعد ذلك.

في إحدى المناطق النائية:

مروة: إنت متأكد يا أحمد إنك هاتوديني أكتر الأماكن رومانسية؟ ماله بس الكافيه اللي جنبنا هههه.

أحمد: صدقيني المكان ها يعجبك جدًا إنتِ مش واثقة فيَّا يا مروة؟

مروة: إخص عليك يا أحمد ما تقولش كدا دا انت بقيت عمري كله.

وصلوا إلى المكان وقال أحمد: اتفضلي يا مروة أحب أوريكي أكتر الأماكن رومانسية على وجه الأرض..

بعد عامين في أحد أقسام الشرطة:

الظابط: اهدى يا دكتور طاهر وصدقني محدش ها يفلت من العقاب وبنتك هتاخد حقها.

دكتور طاهر: حسبي الله ونعم الوكيل فيه المجرم.

الظابط: اكتب يا ابني عندك «وقد تم العثور على جثة المدعوة /مروة طاهر في أحد الأكواخ على الكيلو ١٥١طريق السويس الصحراوي بعد إبلاغنا من أحد المشتبهين في الكوخ وتم الانتقال لموقع البلاغ على الفور وجاري البحث عن المدعو/ أحمد على».

وفي منزل الدكتور طاهر:

سمير: شيء غريب فعلًا يا دكتور طاهر أحمد دا طول عمره نموذج للأخلاق في الجامعة.

دكتور طاهر: طلع مجرم وسفاح والناس مش بالمظاهر.

سمير: يعني كل دي مكانتش أحلام يا دكتور كانت حقيقة.

طاهر: فعلًا يا سمير ضحك علينا وقالنا إنه كان بيحلم وهو بينفذ جرايمه حتى بنتي المسكينة ما فلتتش منه ووثقت فيه بكل براءة.

سمير: ولقوا إيه تاني في الكوخ يا دكتور؟

طاهر: لقوا منظر بشع لبنات تانية وكل بنت مكتوب تحتها رقم سونيت شكسبير وملفوفة في كيس اسود وورق الحائط كله على الجدار صورة كبيرة لشكسبير وكأنه بيبص لكل واحد داخل الأوضة.

سمير: لا حول ولا قوة إلا بالله لكن ازاي عمل كل دا؟

طاهر: بيقولوا بدافع انتقام من واحدة سابته اسمها ليلى.

سمير: ليلى؟؟

طاهر: أيوه ودي صورتها.

صعق سمير من رؤيته لصورة ليلى حبيبته هو وقال في ذهول: لكن ليلى دي خطيبتي.. وهو عمره ما كلمها أصلًا ولا قال إنه كان بيحبها لأي مخلوق.. ومنين جاب صورتها دي؟؟

طاهر: خطيبتك؟؟؟

سمير: أيوه يا دكتور أحمد اتجنن تمامًا.. انتقام إزاي وهو عمره ما قالها بحبك ولا قال لأي مخلوق وطول عمرهم بيتعاملوا كأنهم اخوات دا حضر خطوبتنا كمان.

طاهر: لا حول ولا قوة إلا بالله.. الولد دا لازم يلاقوه بأي طريقة لأنه خطر على كل حد يقابله.

بعد شهور:

نسمع جرس الباب في منزل سمير ويفتح سمير الباب ولا يجد أحدًا ويجد ورقة ملقاة مكتوب عليها:

عزيزي سمير/

أنا لسه مستخبي في مكان ماحدش هايعرفه، طبعًا إنت مستغرب من موضوع ليلى، عمري ما صارحت حد بحبي لليلى لكن أرجوك تديها الورقة دي:

«كان إله الحب الصغير مستلقيًا ذات يومٍ وقد غلبه النوم، وكانت إلى جانبهِ شعلته التي تضرم نار الهوى في القلوب، بينما كثير من الحوريات اللاتي أقسمن على الاحتفاظ بحياتهن الطاهرة يعبرن في قدومهن من جانبه، لكن اليد العذراء لأجمل واحدة منهن؛ التقطت تلك الشعلة التي عقدت بالدفء كثيرًا من روابط القلوب المخلصة، هكذا كان أمير الرغبات الساخنة مستغرقًا في النوم عندما جردته اليد العذراء من سلاحه وأطفأتْ تلك الشعلة في أحد الآبار الباردة المجاورة، فاتخذ البئر من نار الحب حرارة أبدية، وصار حمامًا ونبعًا شافيًا للبشر المصابين. ولما كنت عبدًا لحبيبتي؛ فقد ذهبتُ هناك أطلب الشفاء، وهذه هي الحقيقة التي وجدتها: نار الحب تجعل الماء ساخنًا، لكن الماء لا يجعل الحب باردًا..»

شكسبير.. سونيت ١٥٤

وفي آخر الورقة كانت الجملة التي أنزلت الرعب في قلب سمير وتقول: «**لم تجعليني يا ليلى حبك الأول ولذلك قررتُ أن أجعلكِ السونيت الأخير**».

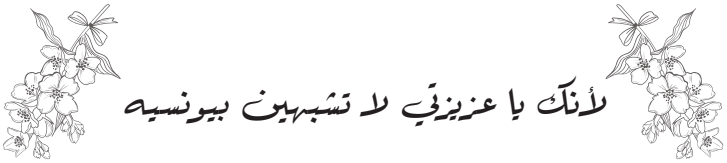

اسمي سارة.. سمراء قصيرة القامة وبوصف زوجي الحبيب فإنني برونق بيونسيه وأنوثة مارلين مونرو ولكنني لا أرى نفسي كذلك أو لا أعتقد على الإطلاق وأرى أن في كلامه نوعًا من المبالغة التي تتستر على إعجابٍ لذيذ ومثير لي كامرأة.

حينما قرأتُ لأولِ مرة «**جلسة سرية**» لسارتر لم أُحدد على بوصلتي العاطفية مكان الجحيم.. كان يرى أن الجحيم هو الآخرون.. ولكني أتسائل الآن هل ينطبق كلامه على الحياة الزوجية؟ هل أنا الآن الجحيم في نظر زوجي؟ أم أننا واحد ويظل الجحيم هو الآخرون أم أن سارتر مختل ومجنون مكتمل جنونه؟ كيف يصبح النعيم المنشود جحيمًا؟ لقد رأى فيَّ جنتهُ فكيف أُصبح جحيمه؟ هل الحياة الزوجية قطعة خشب والزمن يُشعل فيها اللهب تدريجيًا بمحاولاتٍ بائسة كعضو فريق كشافة مستجد؟ وهل العاطفة تبدأ بقوةِ المطر وتنتهي في بركةٍ يشرب منها طيور هزيلة لاتعرف إلا فن الانتظار؟ ولكني سأظل أسأل وأسأل لماذا يضعف القوي أم أنه بدأ واهنًا وتخيلناه قويًا؟ هل نُكمل حياتنا الزوجية بالعقلِ أم العاطفة؟ كلها أسئلة تبحث عن

أجوبة.. كلها أسئلة تقتلني وتمتد في شراييني كامتدادِ الصحراء القاحلة ولا أستطيع الهروب منها إلا بسرابٍ أصطنعه ولا أصنعه.

أُشعل الآن سيجارتي.. لا أعرف حتى لماذا قُلت لكم هذه الملحوظة.. بل لا أعرف حتى من أنتم فأنا أخاطب «**كيبورد**» لعين وحيد مثلي، قطعة جماد تفض بكارة الجراح من المجروحين حول العالم، تبًا للأجهزة ولشبكات التواصل الاجتماعي التي قتلت أرواحنا واغتالت فينا جمال العالم وجمال الله.

أُشعل سيجارتي بعصبيةٍ بالغة لأنني أقوم بعمليةٍ أشبه بالتداعي الحر بدون أن يجلس بجواري «**فرويد**»، أتذكر في أولِ مرة قابلت «**حسان**» زوجي منذ سبع سنوات في كافيتريا الجامعة.. ريعان الشباب والعاطفة لا نعرف من منهما يعصفُ بالآخر ولكننا كنَّا في إعصارٍ لذيذ شهي لا نمل منه أبدًا..

قال لي حسان ذات مرة أنني أُشبه بيونسيه.

قلت له مبتسمةً: اممم يعني إنت بتحبني عشان شبه بيونسيه؟ يعني حبتني عشان سماري مثلًا؟

قال: لا طبعًا.. حبيت السمار عشانك.

حسان كان على مقياس الحب «**كيوبيد**» وعلى مقياس الجمال «**حسان**» فالعاشق لا يجد مقياسًا لقياس جمال من يُحب إلَّا نفسه.. فالعاشق هو المقارن والمقارن به.

حينما رآني لأولِ مرة بفستان الفرح كانت في عينيه نظرةْ من امتلك العالم أجمع؛ فحسان كان من المعتقدين في أن الحب امتلاكٌ كاملٌ للمحبوب ولا يوجد بينهم ما يُسمى جدلًا خصوصيات.

وكانت ليلة الزفاف هي بداية العد التنازلي لعشقنا العارم كما حكوا لي قديما عن عادة الزواج ولكني كنت أرد عليهم بلهفةٍ: يا جماعة حسان مش زوج عادي مش زوج روتيني.. عواطفه مش ممكن تنطفي ولو بعد ١٠٠ سنة.

لا أعرف كيف أُعيد لحسان روح العاشق التي صعدت لبارئها مرة أخرى؟، بقِيَ منه فقط الجسد الذي إن احتضنِ ضاجع وإن ضاجع خمد وإن خمد نام.. لم يبقَ من حسان إلَّا جسد وسيجارة طويلة الأنفاس.. وحينما قال درويش إن الحب هو كذبتنا الصادقة من المؤكد أنه لم يكن يقصد هذا الجحيم أبدًا ولم يكن محمود درويش العاشق يُحب أن يرى ما نحن فيه الآن.

بحثتُ في كلِ مكان وقرأتُ الكثير من الكتب عن كيفية استعادة حسَّان مرة أخرى.. كُتب عن الفتور الزوجي وغيرها من الموضوعات المتعلقة به.. أصبحت علاقتنا وكأنها مادة فريدة يكتب عنها «**وودي ألان**» فيلمًا أغرب من فيلمه Husbands and Wives

حينما كان حسان ينام بجواري كنت أريد الخروج من نفسي وأصيح بأعلى صوت «**حسان.. هل تسمعني؟ أنا روح سارة؟ أنا الروح التي عشقتها سنوات وسنوات والآن لا ترى فيها إلَّا جسدًا أسمر روتيني ممل.. وكأنك تقوم بوظيفتك التي عهدها لك جنسك البشري ونوعك الذكوري؟ أين مات الحب يا حسان؟ لن أسألك أين ذهب بل أين مات وخرَّ صريعًا يا حسان؟ لماذا اغتلت الحبيبة وأبقيت الزوجة؟ ألم تقل لي إن الحب عملية اغتيال؟ هل هذا ما عنيته بكلامك يا حسان؟ أين سارة التي أشبعتها شعرًا وزهرًا وتراتيل غرام؟ أين أنا يا حسان؟ أنا المعشوقة ولستُ الجارية؟ أنا العمر ولستُ وقت المزاج.. أنا الحبيبة ولست معدة القهوة.. أنا الحضن الدافي ولست حضن الغرض.. أنا نصفك الحلو ولست نصفك السفلي.. أين أنا يا حسان؟ أين فقدتني ولماذا أضعتني؟**»

لم أكن من يجني سعادته بتعاسة آخرين.. فكما نصحني جبران خليل جبران أن لا أفعل هذا وأن أعرف أن الحياة دمعة وابتسامة.. ولكني كنت حينما أجلس مع صديقاتي لبنى وآية كنتُ أسمع منهن نفس الشكوى ولكني أصطنع أن العلاقة بيني وبين حسان مختلفة تمامًا؛ فهي قائمة على الحب وليس كما يقولون «**زواج الصالونات**».. **وكانت لبنى ترد دائمًا وتقول:** يا بنتي سارة مش مقياس أصلًا دول قصة حب جنونية أنا بتكلم عن الجواز العادي.

كنتُ أخرج دائمًا باكية يا حسان لأنهم لا يعرفون ما وصل إليه الحال بيننا.. كانوا لا يتخيلون أن يصبح حبنا روتينيًا وأنا لم أكن أظهره كذلك دفاعًا عن حسان العاشق الذي سأرفع رايته ولن يموت.. سأصيح في معركةِ الدفاع عن حسان العاشق وأقول صارخةً «**وعشقاااه**»، ولكنك لن تسمعني يا حسان لأن الواقع قد نداك مثل النداهة ولكنها ليست للأسفِ نداهة خيالية إنها نداهة الحياة المقيتة الروتينية التي تقتل الحب بين أجهزة الكمبيوتر والمحمول والشوارع ووسائل المواصلات وطلبات البيت وغيرها من السفاحين قاتلي المشاعر.

حاولتُ بكافةِ الطرق أن أستعيد علاقتنا القديمة ولكن أحيانًا الكرامة تعيق المسألة.. كرامة المعشوقة التي أهملتها التي لن تستجدي عشق حبيبها.. ليس تكبرًا ولكن الحب له هيبة ووقار.. نعم البعض يرى في الحب نوعًا من التنازل والذل.

ولكني كنت لا أعرف كيف أتذلل إليك لأنك أنت السبب.. نعم أنت السبب فأنت من جعلني ملكة فكيف للملكةِ أن تستجدي وتطلب.. أين هي ثورتي يا حسان؟، لو كنتَ من البداية عاملتني بطريقةٍ اعتيادية كجاريةٍ ربما قد ثَرت ذات يوم وأصبحت ملكة ولكنك بدأت معي كملكةٍ فكيف أستجديك في بلاطي وحضرتي وملكوتي؟

هل تعرف إني خفت قليلًا حينما قلت لي ذات يوم إن صديقك قال لك «**أخاف عليكما من الزواج يا حسان فإنه يسلب الحب**».. نعم لقد شعرت بهذه الكلمات تضغط على صدري بعنفٍ.. كلمات هزت عرش أنوثتي وكبريائي ولكني صدقتها الآن لا أعرف هل كان صديقك حكيمًا أم أنه فقط تعلَّم الدرس!

حينما كنتُ أكتب هذه الكلمات سمعت جرس الباب فهرعتُ إليه وفتحت ووجدت شخصًا لا أعرفه **ولكنه قال:** «**الأستاذة سارة الحسيني**»؟

قلت: أيوه في حاجة؟

قال: يا ريت تمضي هنا على الاستلام.

ورقة طلاق؟؟ من المؤكد أن هناك خطأٌ ما؟؟ حسان وانا؟؟ لا يمكن أبدًا.. من سابع المستحيلات.. شيء لن يصدقه العقل ولا المنطق ولا الحب.. حسان يطلقني؟

جائتني رسالة على هاتفي **تقول:** «**يا ريت تفتحي الإيميل بعتلك رسالة يا ريت تقريها.. حبيبك السابق حسان**».

كيف تصبح حبيبي السابق يا حسان وكيف استطعت أن تقولها؟؟، هل تعرف كيف فتحت مجرى دموع لن يجف أبد الدهر يا حبيبي الحالي وحبيب كل زمان؟ لماذا سفكت دم الحب يا حسان؟

فتحت الرسالة بسرعة التي أرسلها حسان **وقال فيها:**

عزيزتي سارة..

لا أعرف ما الذي حدث لحبنا الذي تعاهدنا فيما بيننا أن يكون أبديًا وقُلتي لي حينها أن حبنا سيكون قصيدة درويشية خالدة.. أعرف أن شاعرك المفضل درويش كما اعرف عنكِ كل ما لاتعرفينه عنكِ فأنا جزءك وكلك والعاشق جزء وكل.

ألم نتعاهد يا سارة إن مات فينا الحب نُحييه وإن تاه في درب حياتنا نهديه وإن قل ثمره نرويه؟، لماذا ضعتُ منك يا سارة أم ضعتي مني؟ أين الحقيقة وأين الحب؟

كان لا بُدَّ لكِ يا سارة أن تعرفي أن الحب بلا أسرار ولا خصوصية.. وكان لا بُد لكِ أن تعرفي أن السر في صاحبهِ فقط.. لقد أخبرتني زميلتك شيرين عن كل شيءٍ حدث ولكنها لم تكن تعلم عواقب فعلتها.. لا تلوميها ولومي نفسك يا سارة.

صدقيني أنا لم أتخيل المشهد إلا حينما رأيتك بنفسي.. لم أتخيل أن يصل بكِ جنون الحب إلى درجة أن تشتهي العاشق حتى وإن كان على جثة الحب.. صدقيني لم أستطع تخيل المشهد.. وأنتِ تعرفين جيدًا كيف كان المشهد.. أنتِ تعرفين جيدًا يا من كنتِ حبيبتي.. لا أعرف إن كنتُ أنا المخطئ أم أنتِ ولكني رأيتُ واعذريني كلمة النهاية..

لن أكون مثلك ولن أنهي علاقتنا لأنك لا تشبهين بيونسيه كما كنت أقول لكِ.. بل لأنك كنتِ أجمل منها بسنةٍ ضوئية ولكنكِ شوهتي جمالك في عيني يا سارة.

حبيبك السابق/ حسان.

ردًا على حسان:

حبيبي حسان/

لهذا تركتني يا حسان؟ ولكنك لم تتحدث عن خيانتك في الرسالة.. نعم اشتهيت كلماتك الغرامية القديمة واشتهيتُ شخصك العاشق بدلًا من جثتك السريرية الغريبة التي لا أعرفها.. اشتهيتُ أصابعك التي تعزف البيانو وتكتب الشعر.

وليست أصابعك التي لا تشير إلا بصيغة الأمر..

بحثتُ عن كافةِ الطرق لاستعادة علاقتنا وحينما يأستُ اتبعتُ طريقتي حتى وإن كانت جنونية ولكني أعدتُ لك العاشق يا حسان.. اعترف معي أني أعدتُ لك حسان العاشق..

لقد اخترعتُ طريقتي الخاصة وقلتُ لإحدى زميلاتي اللاتي لا تعرفهن أن تحاول أن تغازلك لفتراتٍ طويلة وكعادة الرجال كنت أعرف أن لهذا مفعول السحر وأنك مثلهم يا حسان.. طالما تغيرت مثلهم فأنت خائن مثلهم.. طالما قتلت الحب مثلهم تستطيع ممارسة الخيانة مثلهم.. أنت منهم يا حسان.. وكنتُ أريد أن أستعيدك حتى ولو بخيانتي.

ظلَّت المكالمات بينكما فترات طويلة حتى بدأتَ تميل إلى أسماء صديقتي، وكنتُ أسمع المكالمات في الغرفةِ الأخرى وهي تعرف وأشرب سيجارتي وأبتسم بعودةِ كلماتك الغرامية وحبك حتى ولو لغيري.. كنتُ أسمع في صوتك حسان القديم

حتى لو كان لغيري.. كنتُ أسمع في غزلك حسان الذي عرفته أيام الجامعة والذي فقدته..

ربما استبحت مشاعرك يا حسان ولعبتُ بقلبك بامرأةٍ أخرى ولكن تم استدراجك يا حسان وخنتني عاطفيًا.. لقد غازلتها يا حسان وإن كان ذلك يُثيرني إلا أنه قتلني.. لقد كنتُ مثل المخمورة لا أعرف هل أنا سعيدة أم مهمومة بهذه العلاقة وكيف أُنهيها.. لا أعرف إن كان ما فعلتهُ حلًا أم لا ولكنك خنتني.. إن كانت جريمتي استباحة مشاعرك فأنت خنتني يا حسان.

ردًا على سارة:

عزيزتي سارة...

أنتِ تريدين فقط الحب الآن ولا تريدين حسان.. لقد أحببتي الحب أكثر من حسان.. لقد أسقطتي حسان في الخيانة بيديكِ لتستعيدي على جثة حسان وصديقتك الحب وحده.. لكِ الله يا سارة.. فأنا لا أعرفك الآن أو لم أكن أعرفك منذ البداية.

حسان

بعد أن قرأتُ رسالته الأخيرة لا أعرف هل أنا من قتلت الحب أم استعدته هل هو الخائن أم أنا؟؟، ولكني ما زلت أستمتع بسيجارتي وأضحك بصوتٍ عالٍ **وأقول لنفسي:** «**لقد عرفتُ كيف أستعيد العاشق من شخصٍ مات**».

وأضحك... وأضحك... وأضحك...!

عذارى الجمال

يا عذارى الجمال، والحبِّ، والأحلامِ،
بَلْ يَا بَهَاءَ هذا الوُجُودِ
قد رأَيْنا الشُّعُورَ مُنْسَدِلاتٍ
كلَّلَتْ حُسْنَها صباحُ الورودِ
ورَأينا الجفونَ تَبْسِمُ..، أو تَحْلُمُ
بالنُّورِ، بالهوى، بِالنَّشيدِ
وَرَأينا الخُدودَ، ضرَّجَها السِّحْرُ،
فآهًا مِنْ سِحْرِ تلكَ الخُدودِ

«أبو القاسم الشابي»

يُحكى أن رجلًا قصير القامة غريب القسمات في مملكةٍ ما في زمانٍ ما قد هام حبًا بملكةِ المكان والزمان التي عجز عن وصفها اللسان وعجز عن حُسنها البيان، أقسم بعض خدم القصر أن الأرض قد امتدت من تحت قدميها ذات يوم حين ابتسمت وهي تنظر للقمر ولم يصدقه باقي الخدم ولكن ماً صدقه الجميع وآمن به للأبد هو هذا الجمال المشهود الذي لا قيدَ له ولا حدود.

كان الرجل يسكن في كهفٍ يبعد عن القصر عشرات الأميال ولكنه يأتي كل عامٍ ويسأل خدم القصر « **هل ما زالت الملكة بنفس جمالها؟**».

فيقول الخدم وهم يتضاحكون على جنونِ الرجل «**نعم أيها المجنون.. هل تقطع كل هذه الأميال كل عامٍ لتسألنا نفس السؤال؟؟ إنك حقا لمجنونٍ كريه الوجه**» ويكملون ضحكهم ويتغامزون.

وصل خبر الرجل إلى الملك بنفسهِ فحار في أمره واستدعى الوزير وقال في حسم «**أريد أن أرى هذا الرجل الذي يتحدث عنه الجميع.. يقولونَ أنه أقبح الناس ويسكن في كهفهِ وحيدًا ولكنه منذ أن رأى الملكة وهو يسأل عنها كل عام.. ما قصة هذا الرجل يا ترى؟**».

قال الوزير: «**لا تهتم بأمره يا مولاي إنه مجرد رجل ضعيف قبيح ولو تشاء نقبض عليه في الحال**».

الملك: «**لا لا.. بل أريد أن يتم استدعائه فورًا لأجلس معه وأعرف قصته**».

الوزير متعجبًا: « **ماذا؟؟ هل يجلس الملك مع مثل هذا المعتوه.. مقامك أرفع يا مولاي من ألفٍ مثله**».

الملك في لهجةٍ حازمة «**قلتُ أريد هذا الرجل في الحال ولا يمسهُ أحدكم بسوءٍ بل أكرموه**».

الوزير «**أمرك يا مولاي**».

خرج الوزير بخمسةٍ من الحرس وقطع الطريق حتى وصل إلى كهفِ الرجل الذي كان معروفًا للجميع لأنه أقبح أهل المدينة وصاح « **أيها الرجل.. أنت.. اخرج إلينا**».

خرج القبيح من الكهف ونظر إليهم وقال «**ما الأمر؟لماذا تصيحون؟ هل ستأتوني بإكسير الجمال؟**».

ضحك الجميع على الرجل الذي يسخر من نفسه **وقال الوزير:** «بل أكثر من ذلك ستجلس مع الملك شخصيًا أيها الصعلوك ولا أعرف لماذا يطلبك».

قال القبيح: «الملك؟؟ الملك بنفسه؟ هل سأرى الملكة؟».

الوزير ساخرًا: «قلتُ لكم إنه مجنون.. لا أعرف فيما يقحم الملك نفسه آه يا للعجب».

قطعوا الطريق والمراعي الخضراء حتى وصلوا إلى القصر الذي ما إن تراه حسبته لؤلؤا منثورا.. كأنه قصر من قصور الجنة بناه الملك هدية للملكة منذ وقتٍ طويل.

دخل القبيح وهو يتلفَّت حوله وكأنه يبحث عن شيءٍ ما أو أحدٍ ما **وقال الوزير:** ها هو الرجل يا مولاي كما طلبت».

قال الملك: « **حسنًا اتركنا الآن**».

ظل القبيح يتأمل المكان متعجبًا **وهو يقول في سرِه:** «**هل سأري الملكة؟**».

قال الملك صائحًا: «حدثني أيها الرجل عن أشهى أمنياتك وأحبُّها إلى قلبك في هذا العالم».

قال القبيح: «أن أرى الملكة.. ملكة الخلود والوجود.. ربة الجمال قاتلة القلوب.. إنها أشهى أمنياتي.. فقط أن أراها وأستزيد من شهدِ جمالها ما يستر قُبحي ومن عطاءِ أريجها ما يُغطي خجلي ومن شفاءِ نظرتها ما يُجدد أملي».

قال الملك: «ألا تخاف أن تقول هذا الكلام أمام الملك أيها الرجل؟ ألا تعرف أنتي قد أقتلك لأنك تتحدث عن زوجتي حديث العشاق؟».

قال القبيح: «أنا لا أبالي بالغيرةِ أمام جمال العطاء.. ولا أبالي بالمنافسةِ أمام روعة الكرم.. وجمالها معطاء كريم ولا يبخل على عاشق ولا يضن على مشتاق.. أنا ليس لي أمل أستطيع أن أمتطيه كالحصان لأخطفها منك.. وليس لي جمالك كي أستطيع أن أحتضن سحرها بسحري.. وليس لي مالك كي أستطيع أن أفيض بهِ على الشعب من سعادةِ نظرتها إليّ.. أنا لستُ أملك أي شيءٍ كي تخاف مني فاترك لي عطاء الجمال واستأثر أنت بالجمالِ نفسه».

قال الملك متأثرًا بحديثِ الرجل: «**حدِّثني عن الجمال أيها الرجل..** ».

قال القبيح: «ما أشهى الجمال.. وكم أفتقده في نفسي.. الجمال هو الله.. الجمال هو لحظة خلق العالم تتجدد أمامك كل لحظة.. زهرة العيون وسدرة منتهى القلب..

الجمال هو منهل الروح والجسد وغاية الحياة في وجودها وغاية القلوب في طوافها حول جمال العالم.

الجمال هو أقصى ما فقدته وبكيت عليه وأقسى من فقدته ولم يستدل على عنواني مرة أخري.

وبرغم أن الجمال هو الحب إلَّا أن الجمال أيضًا نقيض الحب وهذا هو المستحيل بعينه.. فأنت لن تعرف الحب إلا في عيون من يملكه بينما لن تعرف قيمة الجمال إلا في عيون من فقدوه..!»

قال الملك: «والله أيها الرجل لو كان معي طلبك.. ولو كان معي إكسير الجمال ما تأخرت عليك لحظة.»

قال القبيح: «أريد أن أرى الملكة ولو لمرة أخيرة..».

استدعى الملك زوجته وقد استدر الرجل عطفه وأثر فيه **فقال: استدعوا الملكة حالا.**

دخلت الملكة إليهم ولم يتمالك الرجل نفسه من البكاء **وقال:** «إنه الأمل.. هذا الجمال هو الأمل.. ربما سأصل إليه يومًا قبل أن أموت.. ربما سأجد الجمال في حكمةٍ أو في قلب امرأة أو في زهرةٍ ولكني سأجد لحظة الجمال الكامل مثل تلك اللحظة..

ستتكرر هذه اللحظة يا مولاتي.. وسيتكرر قبحي إلى ان يستحيل جمالا.»

خرج الرجل من القصر وقد دمعت الملكة عطفًا عليه ولكن ما آثار استغراب المملكة أنَّ الرجل قد اختفى تمامًا حتى أنه ترك الكهف ولم يجده أحدٌ أبدًا.. تُرى أين اختفى هذا الرجل؟ كان هذا السؤال الذي انتشر بين سكان المملكة.

مرَّت سنوات طويلة ومرضت الملكة مرضًا شديدًا ألمَّ بها وقبل أن تفارق الحياة أوصت زوجها وصية وطالبته بتحقيقها.. لقد أوصته أن يُعطي مقتنياتها إلى الرجل القبيح الذي كانت تُشفق على حاله.. وبعد أن فارقت الحياة ضرب الحزن واليأس قلب الملك ولكنه حاول قدر الإمكان تنفيذ وصية زوجته الحبيبة فبحث في عرضِ البلاد وطولها عن الرجلِ القبيح حتى وجده في كهفٍ آخر في آخر المملكة.

عرف القبيح بالخبرِ فبكى بكاءًا شديدًا حتى قالوا إن من شدة قبحهِ قد عوى مثل الذئاب وأخذ نصيبه من إرث الملكة الذي كان ذهبًا وكنزًا يكفيه العمر كله ويجعله من أغنى الأغنياء ولكنه لن يجعله الأجمل.

بنى القبيح بهذه الأموال قصرًا كبيرًا فوق هضبة عالية بدلًا من كهفه وكان يُقيم مسابقة جمال كل عام؛ يُقيِّم فيها الأجمل من نساءِ المملكة ويغدق عليها بالأموال ولكنه لاحظ أن امرأة ما كانت تأتي كل سنةٍ وتنظر من خلف أسوار القصر وتفرُّ هاربةً إذا

اقترب منها.. **وفي إحدى المرات أمسك بها الحراس وقال لها القبيح:** من أنتِ؟ وماذا تريدين؟

قال أحد الحراس: إنها امرأة مجنونة يا سيدي تأتي كل عام وتسأل سؤالها «**هل ما زال القبيح بنفس قبحه؟**» إنها تهرب فيً كل مرة يا مولاي حينما نقترب منها ولكن استطعنا أن نمسكها هذه المرة فلتنال عقابها.

نظر إليها القبيح في تعجبٍ وقال لنفسه: «**هل ما زال القبيح بنفس قبحه!**»، إنَّ التاريخ يُعيد نفسه.. لقد ذكَّرتني بنفسي حينما كنتُ أسأل هل ما زالت الملكة بنفس جمالها.. لقد كنتُ أحصل من جمال الملكة على أملٍ أتغلب به على قبحي ودمامتي فماذا تريد هذه من قبحي؟

قالت: اتركوني يدي تؤلمني.. قل لهم يا سيدي أن يتركوني أرجوك.. ارحمني أيها الرجل.

قال: اتركوها.. تعالي معي.

دخلا معًا إلى القصرِ الممتلئ بشتى أنواع الطيور والجميلات.. كان القصر نفحة جمالية إلاهية خالصة.. ووجدت مكتبة ضخمة كلها كتب عن نفس الموضوع «**الجمال**»..

قالت: كل هذه الكتب عن الجمال؟؟ ما أضخم تلك المكتبة..

قال: أجد فيها عزائي.. ولكنكِ لم تجيبي على سؤالي ماذا تريدين مني؟

قالت: ربما ستغضب سيدي إن حدثتك بصراحة.

قال: بالعكس إن حاولتي الكذب سأترك الحراس يذهبون بكِ إلى القاضي.

قالت: حكايتي أنني امرأة قبيحة ينفر منها الرجال.. فكنتُ أعرف ولا تغضب مني أنك كما يقولون أقبح من في المدينة فكنتُ آتي إلى هنا لأجد في وجهك عزائي وأعرف أني قد أكون أقبح النساء ولكني لستُ أقبح من في المملكة.

صفَّق الرجل بحرارةٍ والسعادة تغمر وجهه وكأنه قد وجد ضالته المنشودة في كلامها وسط ذهول المرأة التي تفاجئت بسعادتهِ رغم أنها تتحدث عن قبحه.

قال الرجل: اذهبي الآن ولكِ مني خمسة صناديق من الذهب الخالص أيتها المرأة.

فرح الرجل فرحًا شديدًا ونظر إلى مكتبته وقال كل هذه الكتب تتحدث عن الجمال ولكنها لم تُحدثني عن حكمته.. حكمة الجمال والقبح في هذا العالم.

وأمسك ورقة وقلم وكتب آخر كلماته التي أصبحت بعد ذلك على جدران القصر: «**حكمة الجمال والقبح: الجمال قال للقبح سأجعل منك عزاءً للبعض وقال القبح للجمال سأجعل منك أملًا وأمنية للبعض.**»

فقال الجمال: «ولكنك لا تملك مثل ملكي.»

قال القبح: «أنا شريكك في مُلك الله؛ خلقنا الله لكي نعطي الأمل.. الجمال أمل والقبح في عزائِه أمل.. الحياة بقبحها وجمالها أمل وهذا هو الجمال الحقيقي وهذا هو معدنه.»

«قالوا إن الرجل مات وفي أحضانه كتاب آخر عن الجمال.. وقالوا إن المرأة تزوجت برجلٍ يقاربها في القبحِ.. وأنها بكت بكاءًا شديدًا على فراق القبيح.. حينما فقدت عزائَها في قبحه..

ولكن أعجب ما قالوه أن الملك قد أمر بدفنهِ بجوار زوجته.. لعلَّها تكون حكمة الجمال والقبح التي وجدها على جدارن قصره أن يتقابلا في النهاية ويتحدا ولو تحت تراب المملكة!».

رقصتي الأخيرة مع أميمة

أنا والحب وأميمة.. لا يوجد غيرنا أبدًا في الغرفة.. حتى ولو كانت مليئة بالبشر.. في حقيقة الأمر نحن سبعة.. نعم سبعة هذا الرقم المقدس.. أنا وأميمة وعيناها وحسنها وقلبي وضعفي وكيوبيد.. هكذا كنا دائمًا نحن السبعة رغم أننا كنا بالفعل سبعة.. ولكن هي حديقة ياسمين وهم بشر مثلي من ماءٍ وطين.

تنهال على رأسي القصائد كلما رأيتها.. وتنهال على قلبي الأغنيات كما اللافا البركانية.. كلما دخلت الغرفة أسمع من بعيد أغنية «**أهواك بلا أمل**» لفيروز.. فتدمع عيناي.. ويقترب صوت كعبها الغائر في دمائي فأسمع اللحن الجنائزي لقلبي الحزين في أغنية «**سمراء يا حلم الطفولة**» بصوت عبد الحليم حافظ.. وما أدراك لو اختلط معهم صوت «**بول مكارتني**»!!

تقترب أُميمة من الغرفة فأحاول أن أهرب.. أن تنشق «**السماء**» وترفعني.. وكأنني أقول لها «**ضعيني في جيبك يا أميمة**».. نعم كلما رأيت هذا المشهد تأثرت للغاية.. في فيلم The Philadelphia Story

للنجمة كاثرين هيبورن.. حينما رأيت مشهد الفيلم وسمعت الجملة تقول: put me in your pocket mike

شعرت بأنني في نفس الموقف.. وكأنني أردد بلا وعي «**ضعيني في جيبك يا أميمة**».. شعرتُ باقترابها.. ازداد الخوف في قلبي.. وحروف كلمة «**حب**» قريبة من حروف كلمة «**خوف**» في الأسبانية.. يا لها من لغةٍ عرفت الحقيقة مبكرًا.

أينما ذهبت تُطلق البهجة في نفوس الجميع.. وتُطلق الحيرة في قلب «**العبد لله**» و «**الضعيف للحب**».. دخلت الغرفة ولم تجد أحدٌ هذه المرة **فقالت وهي تبتسم:** همَّ راحوا فين كلهم؟

قلت في حزنٍ دافئ: تقريبًا نزلوا تحت في ميعاد الغدا.

قالت وهي تتحرك وكأنها ترقص: أنا فرحانة جدًا النهاردة بجد نفسي أرقص للدنيا.

قلتُ مبتسمًا: ارقصي للدنيا ترقصلك.

قالت: مش كانت ضحكة بس.. يمكن الزمن دا الموضوع قلب برقص.. ينفع أرقص رقص تعبيري.. زمان كنت بعمل كدا في البيت وانا صغيرة وكانوا بيقولوا عليا موهوبة جدًا.. أرقصلهم الرقصة وهمَّ يقولوا بتعبَّر عن إيه زي مثلًا «**البانتومايم**» كدا.

رَقَصِت رقصة خفيفة وسألتني: تفتكر دا بيعبر عن إيه؟

لا أعرف أين كنت أنا في تلك اللحظة ما تبقى أمامها ملامح إنسان.. كنت في عالمٍ آخر.. كنتُ في معراجٍ صوفي روحي..

وصحيت فجأة من عالمي وقلت لها مبتسمًا: دا بيعبر عن الجمال الموجود في العالم؟ صح؟

احمرت وجنتيها في خجلٍ وقالت: غلط.. دا كان بيعبر عن مأساة بنت فقدت أمها.. فين الجمال هنا؟

قلت في ثقةٍ: فين؟؟ في كل مكان يا أميمة.. بجد في كل مكان..

بدأت العلاقة تتخذ منحى آخر منذ هذه اللحظة.. أدرَكت أميمة أن أمامها عاشق متيم.. تستطيع الآن أن تُكمل رقصتها لتعبر عن الحب.. كما يرقص كيوبيد مختالًا في قلوب البشر.

المشهد لا يوحي بمعجزةٍ تقترب.. ولكن الحب معجزة قد اقتربت بالفعل في قلبي.. بعد هذا اليوم انقلبت الحياة رأسًا على عقب وبدأت أميمة تظهر في كل الأحلام برقصها التعبيري لتُعبر عن ما سيحدث في اليوم التالي.. بدأتُ أرى المستقبل بعيون أميمة..

في الليلةِ الأولى بعد موقعة العشق:

ظهرت لي أميمة في الحلم بفستانٍ منقوش بكفوفٍ وردية.. تعزف على «**الهارب**» الموجود في غرفةٍ ضيقة فتتسع.. وتصغر هي في السن لتعود طفلة في حضن الموسيقى.. تصرخ وتبكي وهي طفلة يهدهدها ملاك فتضحك فجأة والموسيقى ما زالت تنطلق من الهارب.. والعازف الآن مجهول.

قمتُ فجأة خائفًا هل هي رقصة تعبيرية من أميمة؟؟هل دخلت في حلمي لتدلني على مستقبل حبنا؟ وماذا يعني هذا الحلم الغريب يا أميمة؟

بدأ الخوف يسري في أوصالي حينما قابلتها وقالت: أنا امبارح بعد ما كلمتك عن الطفولة بتاعتي افتكرت الأيام دي وقعدت أدور ولقيت جهاز كنت بعزف عليه زمان وانا صغيرة وفرحت قوي بجد وشك حلو عليا كنت بدور عليه من زمان ولقيته في مخزن قديم.

ما الذي يحدث.. حدثت لي رعشة مفاجئة من فرط الدهشة وقلتُ لنفسي: هل سترقص لي أميمة كل يوم؟؟ هل أصبحتُ أنا مستقبل أميمة؟؟ ولكن الخوف كل الخوف أن يأتي الحلم بما لا تشتهي نفسي وما لا أتمناه لأميمة من حزنٍ وكمد..

في ليلةٍ أخرى بعد موقعة العشق:

أميمة تبحث عن إحدى الأوراق المبعثرة.. في جسدِ غزالة ورأس أنثى.. فتجد الأزهار مكان الأوراق.. فتأكلها بنهم] شديد.. حتى يسقط من عينيها البنفسج.. فأحاول أن أصنع منه العطر ولا أستطيع.

استيقظتُ وأنا أفكر في رقصتها المتحولة الغريبة.. لماذا تأكل الأزهار.. ولماذا تبكي بنفسجًا؟؟

حينما دخلت إلى المكتب مسرعًا اصطدمتُ بها فسقطت الأوراق وحاولت هي لملمتها وقالت مبتسمة: جت سليمة شكلك مستعجل قوي.

وكانت في حالةِ حزنٍ في هذا اليوم.. عرفتُ أنها انفصلت عن حبيبها السابق وقد اتضحت خيانته الكاملة لها وأنه لم يحبها أبدًا.

كانت فرصتي لأُصرِّح لها بحبي ولكن الرقصة الجديدة جعلتني أخاف أن أصارحها في هذا الوقت..

في ليلةٍ أخرى بعد موقعة العشق:

ملائكة تحرسني بأسهم الغرام وكلما اقتربت أميمة من كهفي حاولوا اصطيادها بلا أمل.. كانت الأسهم تخترق جسمها وتعبر منه دون أن تشعر بأي ألم.. فتركتني الملائكة لأواجه مصيري فاحترق الكهف.

شعرتُ من الحلم بأن أميمة ما زالت في حالةِ حب مع هذا الخائن.. آه لو تعلمين حقيقة الحب المستعر داخلي يا أميمة لطربتي له ورقصتي رقصتك الأخيرة.. أجمل رقصة يا أميمة رقصة الغرام.

كانت أميمة تتحدى بعينيها علم الجمال «**الإستطيقا**».. لتخلق عالمها الخاص وعلم جماله الخاص جدًا.. كان النحل في

مدينتي يعرف طريقهُ إلى الأزهار حينما يرى اللافتات معلقة على الياسمين «**أميمة مرت من هنا**»..!

كان المشهد الأكثر رعبًا لي على الإطلاق حينما ذهبتُ دون إرادتي لأشتري أدوات التجميل.. نعم وضعت الروج على شفتيَّ وأنا أضحك.. لقد بدأتُ أتقمص «**أميمة**» أو أعيش «**أميمة**» ولا أعشقها فقط.. كانت الأحلام مجرد الطريق أو البوابة لحالة اجتياحٍ كامل لشخصيتي.. حتى صوتي بدأ يختلف ويقترب من صوتِ أميمة.. اختفيتُ في المنزلِ لأشهرٍ طويلة.. وعندما عدتُ عرفتُ أن أميمة تركت العمل..

كان حبها القديم حائلًا بيني وبينها.. ما زالت تحاول أن تتمالك نفسها لتفتح قلبها من جديد.. هكذا قالت هي لي.. أنها ليست على استعدادٍ لعلاقةٍ جديدة في هذه المرحلة إنها تتعافي من حبٍ قديم الآن.

في ليلةٍ أخرى بعد مرتعة العشق:

مشهد فيلم persona.

الشهير.. أرى أميمة خلفي وأنا أمام المرآة أُمشط شعري.. وتقترب مني لتلمس رقبتها رقبتي.. وكأني في مشهدٍ من الفيلم تمامًا.

هل أصبحتُ أنا أميمة؟؟ بدأتُ أشك في وجود أميمة.. سألت زملائي في العمل وتعجَّبوا من فكرة سؤالي وقالوا: سلامتك.. أميمة سابت الشغل يا سيدي.

الرقص التعبيري أصبح بمثابة الخوف والرعب بالنسبةِ لي.. كل رقصة لا تعبر إلّا عن نفسي وخوفي.. لقد بدأت تعتريني برقصتها في الحلم.. لقد بدأتُ أصبح أنا أميمة!!

سنواتٌ وأنا تُمزقني الأحلام ولم أستطع الاقتراب لأميمة التي اختفت فجأة ودون سابق إنذار.. شيءٌ يمنعني أن أحدثها وأصارحها بحبي القاتل.. إلى أن جاء اليوم الحاسم والرقصة الأخيرة..

في الليلةِ الأخيرة بعد موقعة العشق:

أميمة تنظر إليّ وتستنجد وهي مفزوعة وثمة زهرة تمسك سكين وتحاول أن تُمزق ملابسها.. وحبلٌ طويلٌ يربط قدميها ويجره رجل عجوز..

جريتُ مسرعًا محاولًا الوصول إليها وتحذيرها من مشكلةٍ ستحل بها ولا أعرف ما هي تحديدًا.. ركبتُ السيارة وضغطتُ على دواسة الوقود بأقصى طاقتي حتى رأيتُ أمامي فجأة رجلًا عجوزًا حاولت تفاديه ولم أفق إلّا في المستشفى.

المستشفى:

الطبيب: الحمد لله إنت اتحسنت كتير حمد الله على السلامة.

قلت: الله يسلمك.

الطبيب: في ضيوف في انتظارك.

قلت: مين يا دكتور؟

دخلت أميمة فجأة وهي تحمل الأزهار ودمعت عينيها في تأثرٍ وقالت: حمد الله على السلامة يا حبيبي.

قلت في دهشة: حبيبك؟

قالت: واكتر من حبيبي كمان..

قلت: أميمة أنا عايز أقولك..

قاطعتني ووضعت إصبعيها على فمي وقالت: هششش ما تتكلمش دلوقتي.. إحنا خلاص هنكمل رقصتنا مع بعض.. ومش هاسيبك لوحدك تاني.. أنا عارفة إيه اللي حصلك بالظبط.

قلت: وعارفة الرقصة ومعناها؟

قالت: دا أنا صاحبة الرقصة.

قلت: طيب والرقصة دي هتخلص على إيه؟

قالت: حسب تفسيرك ليها.

قلت: أنا شوفت رقصة بتقول إن زهرة بتحاول تقتلك.

قالت: واهي حاولت تقتلك إنت شوفت بقى؟؟

قلتُ: إزاي أصلًا زهرة ممكن تقتل؟

قالت: إذا كان الحب اللي هو أجمل من الزهور بيقتل.

قلت: أفديكِ ببنفسج عينيّ.

قمتُ فجأة ناظرًا إليها بخوفٍ وشك.. ورأيت في عينيها شيئًا غريبًا.. إنها لم تكن أميمة لقد كان.. نعم إنه «**الموت**»!! يالفزع الرقصة الأخيرة وخصوصًا حين أرقصها وحدي معه.. أين أنتِ يَا أميمة؟؟

دخل الطبيب مرة أخرى وقال: الضيفة اللي عندك مشيت خلاص؟

قلتُ: أيوه يا دكتور لسه ماشية حالًا.

الطبيب: طيب يا ريت تقولنا على الإسم بتاعها تاني لإن في حاجة غريبة خالص بعد ما سجلت البيانات بتاعتها في الدفتر مش لاقيين للبيانات أثر وشايفين الرقم بس ودا شيء غريب..

دخلت أميمة فجأة من الباب وهي تبتسم وقالت: إنت عندك ضيفة غيري؟؟ لأ يا أستاذ أنا بغير..

قلتُ في تنهيدةٍ: جيتي متأخرة يا أميمة..

اميمة: احنا لسه في أول الطريق وهنكمل الرقصة مش حد تاني.

قلتُ في يأسٍ: الرقصة خلاص خلصت وفات وقتها؟

أميمة: الرقصة عمرها ما هتخلص.. وطول ما احنا عايشين هنكملها.

قلت: بحبك يا أميمة.

قالت: وأنا كمان بحبك وافديك بعمري كله.

ورأيت الزائرة الأخرى تعود وترقص خلف ظهر أميمة.. وكانت رقصتنا الثلاثية.. وإن كانت أميمة لم ترَ هذه الزائرة أبدًا.. ولكني قلتُ بصوتٍ مرتفع: أجمل رقصة في حياتي.. رغم إني برقصها مع الحب والموت.

وقلتُ لأميمة: إنتِ رقصتي الجميلة.. دلوقتي اتأكدت إن إنتِ الحياة يا أميمة.. إنتِ الرقصة الغريبة بين الحب والموت.. عشان كدا إنتِ الحياة.

خالق الملهمات

«لن أموت حتى أرتوي حتى الثمالة من جنون الحب.. نعم.. حتى الموت يعلم ذلك»

الويل كل الويل لكَ أيها الكاتب حينما يكون لك في كلِ مكان ملهمة جديدة وشيطان لكلماتِ الغرام.. الويل لك حينما تتأمر عليك الأماكن والأزمنة لتبدِّل ما كان من ماضي لا يحضر بطيفٍ خصبٍ من حاضر لا يمضي..!

فتح «**ياسين**» دفتر مذكراته وبدأ في الكتابة بلا رحمة كعادته حينا تسمع صوت نشيجه وآلمه وحينا تسمع قهقهة مجنونة كأنه انقلب ساحر شرير.. كتب بخطٍ ضخم في دفترِ مذكراته «**حينما تقسو عليك الكلمات كن قاسيًا عليها بقتلها بجريمةِ الحبر الأزرق.. جريمة الغرام الأزلية.. لا تجعل الكلمات تنتصر عليك.. انزف بها قبل أن تنزفك.. كن جريحًا بها قبل أن تجعلك مجرد جرح أحمق**».

بدأت حكاية ياسين في إحدى «**ورش الكتابة**» حينما نظرت إليه «**هايدي**» تلك النظرة المستكشفة له ولقلمهِ العابث السارح في ملكوت الأوراق.. نظرة أعقبها تأمل ثم يد على الخد

الأيمن ثم ابتسامة.. الخطوات الأربعة الطبيعية لخلق «**عاشق صحيح**»..

كان «**ياسين**» يكتب بنهم وهذا هو الوصف الصحيح «**النهم والشراهة الكتابية**».. وكأن ينظر إليها ولكنه لم يقصد ذلك ابدًا.. لقد كان غارقًا في أحلام يقظته.. ظنت «**هايدي**» الفاتنة الجميلة أنها ملهمة الكاتب ولم يخلُ الأمر من إعجابٍ وهي تمسك بقلمها وتكتب هي الأخرى قصتها الثالثة منذ أن حضرت إلى ورشة الكتابة.. كان المشهد مشهد غرامي بامتياز.. وكأنهم يطارحون بعضهم الغرام على الأوراق.. وكأنهم يرسمون بأقلامهم حرير ووسائد يتقلبون بينها في حبٍ وولع كامل.

ويظل الحال كما هو عليه.. تنتهي ورشة الكتابة ويجلس ياسين في نفس «**الكافيه**» ليكتب قليلًا وتجلس هي في المنضدة التي أمامه وتنظر إليه نظرة أنثوية مدللة وكأنها تفخر أمام أنوثتها أنها ملهمة هذا الرجل وحامية عرش قصصه. ولم يكن الأمر كذلك بالنسبةِ لياسين ولكنها لم تعلم هذا بعد.. ويشتد عود الحب ليتحول إلى بدايات غرام وعشق ملتهب من ناحية «**هايدي**».. وكأنها تقول «أريد أن أجتاح هذا الرجل مثلما اجتحته كملهمة.. أريد أن أجتاح عالمه كما اجتحت عالم قصصه وأوراقه.. لا يكفي لإرضاء غروري الأنثوي اجتياح ورقة بل اجتياح كيان».

اقتربتْ إليه في المرةِ الأخيرة وقالت في دلالٍ يثير اللعاب: ممكن أقعد معاك ولا مشغول؟

قال في هدوءٍ عجيب: شوفتك كتير.

قالت في ثقةٍ مفرطة: حلم ولا علم؟

قال: لأ علم.. إنما الحلم سايبه لقلمي.

قالت: ومين ملهمة قلمك يا ترى ممكن أعرف؟

قال: وليه لازم يكون فيه ملهمة؟؟ مش ممكن أستخدم الخيال؟

قالت: الخيال بذرة مش هاتفكر ترميها وترويها إلا أمًّا تلاقي الملهمة.

قال: وانتِ مين ملهمك؟

قالت: ممكن يكون الملهم «**لحظة**» مش لازم يكون راجل بالنسبةِ لي..

قال: وانا ممكن يكون ملهمتي «**زمان**» مش واحدة بالنسبةِ لي.

قالت: والملهمة ممكن تخلقلك زمان؟

قال: الزمان هو اللي بيخلقلي ملهمة.. هو اللي بيختار مين هي وبيختار حتى لون شعرها.. إنتِ اسمك إيه بالمناسبة؟

قالت: هايدي.

قال: أنا ياسين.

قالت وهي تضحك بسخريةٍ ناعمة: ما انا عارفة طبعًا، بقالي شهور بحضر معاك الورشة ومش هاعرف مدمن الأوراق يعني؟!

قال: أنا مش مدمن للكتابة بس هي حالة بتحضرني كدا وبتعذبني والغريب إني لما بخرج منها وارجع للواقع بتضايق جدًا.

قالت: القتل اللذيذ يعني زي ما بيقولوا؟

قال: فعلًا تقدري تقولي كدا.

قالت: طيب ما الملهمة هي الواقع.. ليه بتكره الواقع؟

قال: أنا بستوطن الواقع لكن وطني ووطن حبيبتي الخيال بكل تأكيد..

قالت: طيب واللي تاخدك للخيال دلوقتي تشكرها؟

قال: أكيد بس مين هي..

اقتربت منه في حركةٍ مثيرة وهي تلعب في خصلةِ شعرٍ عابثة متمردة ونظرت إليه نظرة رغبة عارمة خفاقة دافقة.. وقالت في تحدٍ: هي قدامك دلوقتي..

خرجوا من ورشة الكتابة ولم يعودوا مرة أخرى إلا بعد شهر.. وكان الجميع يسأل: هو إيه اللي حصل بين هايدي وياسين؟؟

تغير الوضع بشكلٍ ملفت للنظر وكانت هايدي تهرب من كلِ مكان يجلس فيه ياسين أمامها على عكسِ ما مضى.. وكانت القصة أغرب من الخيال..

منذ شهرٍ مضى حينما قالت له سأذهب بك إلى عالم الخيال ذهبوا معًا إلى منزلها وبتحررٍ كامل أسقطت آخر قطعة من ملابسها على أرضٍ طينتها الشهوة وطبقاتها لهيب بركاني عاصف..

كان ياسين مذهولًا ولكنه لم يتمالك نفسه وذهب معها إلى عالم الخيال حتى أخمص قدميها..

توالت الأيام عليهما في وضع غرام مرتبك على سرير الملهمة المزعومة.. كانت تظن أنها ستكوَن بطَلة روايته القادمة.. منحتهُ نفسها في حبٍ وثقة بأنها الملهمة الأولى له وهي بطلة كل قصصه حتى قبل أن تقرأها.. خدعتها الثقة وما أقسى الثقة حين تخدع امرأة..

وفي أحد الأيام حينما كان يتقلب في فراشها قامت أثناء الليل وأمسكت بعض الأوراق التي لا تفارقه أبدًا إلَّا أثناء نومه.. كانت عارية الساقين وترتدي قميص **«ياسين»** في مشهدٍ مثير للغاية.. أمسكت الأوراق وبدأت في القراءة **وقال ياسين في كلماتهِ: «نعم أنا خالق الملهمات كما يحلو لي أن أسمي نفسي.. حينما أحببتُ قديمًا في أيام الجامعة كانت قصة حب قاتلة لروحي ومنقذة لها ولكن حينما خرجت حبيبتي من حياتي لم تخرج من أوراقي ولم تخرج من قلبي.. لقد بقيت ملهمتي**

لعشر سنين بعد أن تركتني.. ثم قلتُ لنفسي: لا أمل في العودة»
لماذا لا تحصل لنفسك على ملهمةٍ جديدة.. تملأ بها كتاباتك وأحلامك الغرامية..

وبدأتُ في البحثِ ولكن بالصدفةِ وقعت عيناي على «**المتمردة**» نعم إنها الغزال الشارد الذي عاملني بتكبر.. ولك يكن سبب تكبرها إلا بسببِ القدر.. لقد كان الحظ يقف دائمًا بيني وبينها.. الحظ السيء بالطبع.. كانت تلقي بالنكات ولكني لم ابتسم لأنني كنتُ أُفكر في شيءٍ آخر حينها.. وكانت كُلما مرت من أمامي خرجت من الغرفة التي تجمعنا.. ولم ألحَظ أبدًا سوء تدبير المواقف التي تجمعنا إلا بعد أن رأيت منها القسوة بعد اللين والقوة بعد الدلال..

نعم لقد أعجبني تمردها وقوتها.. في نظرتها وملابسها جرأة وتحدي غريب جعلني أختارها «**ملهمة العام**» بامتيازٍ.. وفي سوء معاملتها ما يُثير إعجاب أي رجل يعشق التحدي.. وأن يخوض تخوم تلك التجربة مع تمردِ امرأة أو تكبر امرأة والفارق كبير..

بدأتُ في تغيير معاملتي لها.. بدأنا الحديث معًا وكما يقولون «**ما محبة إلا بعد عداوة**».. نعم إنها ملهمتي الجديدة إنها «**داليا**» حبيبتي الجديدة إو من سأسميها حبيبتي فلا حب يعلو فوق حب حبيبتي الأولى.

تحدثنا لفترةٍ طويلة وكتبتُ عنها خمس وعشرين قصة.. حتى استلهمت مني حد الإلهام وبدأتُ في البحثِ عن ملهمة جديدة.. وكان اسمها هادئ ليس بشراستها وعنفوانها.. إنها «**هايدي**» الجميلة..

كانت هايدي تبكي أثناء تصفحها للأوراق حينما فهمت أنها لم تكن الملهمة بل إنها ستكون الملهمة القادمة.. إنها إحدى ضحايا الورق الأبيض ذو القلب الأسود.. إنها إحدى البطلات فقط ولم تكن يومًا بطلة هذا القلب وهذا القلم.. بكت طويلًا **وانتحبت ولكنها أكملت القراءة لكلماتِ هذا الرجل المخادع «خالق الملهمات»:**

رأيتُ هايدي لأول مرة في «**الكافيه**» أمام ورشة الكتابة.. أتت إليّ كالصاعقةِ المتوقعة.. كنتُ أعرف أنها ستأتي.. لقد ظنت حقًا انها الملهمة رغم أني كنتُ أكتب دائمًا عن حبيبتي الأولى وملهمتي الثانية.. ولكني قلت لنفسي «**ولما لا**» ولماذا لا تكون هايدي ملهمتي الجميلة.. أنا لن أحبها أبدًا.. أنا مجرد خالق للملهمات.. أنا الذي نزلت إلى المواخير وعلب الليل باحثًا عن روحِ الكتابة وجمال العالم.. أنا الذي منذ فقدت حبيبتي وقفتُ صارخًا وقلتُ لقلبي «**انقذوا السارية.. السفينة ستغرق.. إن فقدتم الحبيبة لا تفقدوا القلم.. احتفظوا بشيءٍ من أثر الحب يُبقيكم على قيدِ الحياة حتى لو بملهمةٍ مزيفة**».

وتوالت الملهمات على قلبي الحزين.. واحدة تأتي بقصة وأخرى بقصيدةِ شعر.. وما زلت أحاول أن أخلق العديد منهم من تراب الحب وماء العشق.. ورفعتُ كأسي الوهمي وقلت لنفسي «**في صحة هايدي ملهمتي الجديدة.. وكتبتُ عنها خمس عشرة قصة وبعض قصائد**»..

صرخت هايدي وحطمت المرأة ومزقت كل أوراقه وقصصه التي كتبها فيها.. عرفت أنها ملهمةٌ مزيفة وليست حقيقة.. إنها مجرد مانيكان يفصِّل عليها القصص وكلمات الحب.. أو مجرد ذكرى لحبٍ فقده وبكى عليه..

استيقظ من نومهِ وقال لها: هايدي مالك؟ إيه اللي حصل؟

قالت في غضبٍ وهي تصرخ: اطلع برة مش عايزة أشوف وشك.. ملهمتك المزيفة مش كدا؟؟ اطلع برة بقولك.

قال «في لهجةٍ منكسرة»: إنتِ قريتي القصص؟ ليه عملتي كدا؟

قالت: وهي دي مشكلتك دلوقتي إني قريت القصص ولا إنك كنت بتحاول تخلقني؟

قال: أنا مش بخلقك أنا بخلق منك ملهمة مش إنتِ كنتِ عايزة تكوني ملهمتي في البداية؟

قالت: الحب مافيهوش كلمات زي «**عايزة**» و«**ناوية**» الحب ما بيتخططش ليه يا أستاذ.

قال في تعجبٍ واضح: الحب؟؟ بتقولي الحب؟؟

لم يعرف ياسين أبدًا أن هايدي كانت تحبه حبًا حقيقيًا إلا في هذه اللحظة وهو يراها ممتلئة بالدموع وهي تنطق وتُردد كلمة «**الحب**» بارتجافةِ شفتيها ورعشة يديها الضعيفة الرقيقة.. كان يعرف أنها معجبة به أو أن الموضوع مجرد نزوة عابرة ولكن هل وصلت حقًا إلى درجة الحب؟؟

قال لها: أنا خلقت منك حبيبة بدل الملهمة؟؟ أنا آسف.. أنا بجد آسف.

قال جملته الأخيرة وهو يبكي بجوارها وجلسوا على الأرض في مشهدٍ يفيض بالدموع والحزن وهو يتحسس يديها للمرةِ الأخيرة ويهمس في أذنيها: أنا حاسس بيكِ.. أنا عارف كويس الإحساس دا.. وانا ضعيف بما فيه الكفاية على إني أحاول أكرره تاني.. الحب قتلني قبل كدا.. يا ريت تضحي إنتِ المرة دي.. أنا مش عايزُه يقتلني تاني.. مش هاسمحله يقتلني تاني.

خرج ياسين في تلك الليلة في حالةٍ لم يعهدها من قبل.. ولكنه سأل نفسه في حيرةٍ بالغة «هل هو الندم أم الذكرى أم الحيرة؟ ما الذي يقتلني من هؤلاء الثلاثة؟ هل ضعف هايدي أمام الحب ذكَّرني بضعفي القديم أمام الحب؟ هل أحببت هايدي حقًا بدافع الشفقة؟؟ ولكن أين محل داليا من الإعراب في حياتي؟؟ لماذا تقتلني ثلاثة نساء؟؟ ما الذي فعلته في حياتي؟؟

وكانت نهاية ياسين في بيتِ امرأة تقرأ «**التاروت**».. لم يكن يؤمن بهذه الأشياء ولكن الحب وعذابه اضطرهُ للجوءِ إلى الخرافات.. حينما قالت له قارئة التاروت «**هتحب جديد والحب دا هايعذبك أكتر بكتير جدًا من أي حب عدى عليك.. هتدوق عذاب الحب فعلًا لأنه هايكون حب من طرف واحد ودا أصعب أنواع الحب**».

قال في غضبٍ وهو يهز كتفيها في جنونٍ: حب من طرف واحد حب من طرف عاشر حب من طرف كوني.. كلها جرايم باسم الحب.. الحب دا قاتل متوحش سفاح.. أيوه سفاح.

ولأن حياة ياسين لم تكن أبدًا طبيعية.. فقد انتحر في بيت قارئة التاروت.. ألقى بنفسهِ من الدور العاشر في مشهدٍ درامي عابث وسط صرخاتٍ لقارئة التاروت.. وحينما تم تفتيش بيته وجدوا عشرات القصص محروقة.. لقد أحرقها ياسين ندمًا على ما فعله في هايدي..

وبعد عشرات السنين عندما كانت هايدي تحكي لصديقتها على آخر مكالمة بينهما قالت هايدي في ألم: **عارفة.. كانت أصعب لحظة ساعة ما بعتلي الرسالة الأخيرةً قبل ما يموت.. بعتلي رسالة غريبة جدًا وقال فيها:**

«لقد أحرقت ملهماتي يا هايدي.. وقلت للنار كوني بردًا وسلامًا على ملهمتي الأخيرة.. فأحرقت كل الأوراق.. ولم تبقَ ملهمة واحدة..».

مذكرات «هايدي سيد عبد الرحمن إبراهيم»:

«النهاردة ٢٥ـ ٤ـ ٢٠٤٠.. »

في احتفالية في ورشة الكتابة وعازميني عليها.. خايفة أروح هناك لأن روح المكان لسه جوايا.. امبارح كإني شفت ياسين.. ابني جايب ورق غريب معاه وبيقولي «سمعتي عن التاروت يا ماما؟ وكأني شفت صورة ياسين على ضهر ورقة منهم.. ممكن أكون مجنونة.. وممكن أكون عاشقة.. لكن دي صورة ياسين.. متأكدة إنها صورة ياسين..

إرتجاع بيولوجي

«تصالح مع قبحك.. تكن الأجمل يا صديقي».

«**سليم**» اختار أن يصطفي نفسه فلا أحد اختاره واصطفاه.. وأطلق على نفسهِ لقب «**المصطفى**»..!!

قال وهو يفكر بصوتٍ عالٍ كالعادة «**اختر لنفسك المركز الأول قبل أن يلقيك الآخرين خارج التصنيف.. لا تعطهم الفرصة.. فالمركز الثاني مليء بالصراعات**».

ربما ستسأل نفسك الآن عن قصة سليم أو تتهم الكاتب بالجنون والدخول في صلب موضوع لم يعطِ فكرة عنه أصلًا.. ولكني سأعطيك هذه التنهيدة الشهيرة عند جميع الكُتاب وأبدأ في سرد قصة «**سليم**»..

«**سليم محمود الجمل عبد الرحيم**» شاب متوسط السن قمحي اللون عادي الملامح.. له طريقة مميزة في المشي وخصوصًا لو حصل على زيادة في المرتب مثلًا فالكل يعشق المال ولكن سليم يستنشقه..!

كان يعاني من إحدى المشكلات العصبية التي لا تعطيه ثقة كاملة أمام الناس.. ذهب إلى جميع الأطباء في جميع التخصصات دون جدوى.. حتى أنه قال يومًا عن الأطباء «**إنهم وسيلة للتحسر على مرضك وليس علاجه**»!

وفي إحدى المرات سمع عن ما يسمى ب «**الارتجاع البيولوجي**» ربما يساهم ولو بشكلٍ ما في علاج حالته التي يأس منها تقريبًا لدرجة أنه فقد الإحساس بالسعادة واللذة مهما كانت معطياتها.. فكيف يشعر بالسعادة دون أن يملك حتى مستشعرات السعادة داخله؟

وفي غرفة الانتظار في إحدى العيادات:

التمرجي: اتفضل يا بيه.. اسم الكريم إيه؟

سليم: سليم محمود الجمل.

التمرجي: عاشت الأسامي يا سي جمل.

سليم «هامسًا لنفسه»: التمرجية مرحلة انعدام الوزن قبل لكمة الطبيب.. ولكنها أغبى المراحل».

التمرجي: بتقول حاجة يا أخ جمل؟

سليم: لا يا سيدي ما بقولش حاجة وبعدين اسمي سليم.

التمرجي: عاشت الأسامي يا سي سليم الجمل.

سليم «كاتمًا غيظه»: هادخل إمتى؟

التمرجي «هامسًا»: عادي ولا مستعجل؟

سليم: آه.. فهمت.. مستعجل لو سمحت.

وأعطاه ورقة بخمسة عشر جنيهًا للدخول السريع.. بالمصطلح الشعبي «**كرمشله ورقة في إيده**».

دخل سليم إلى غرفة الطبيب في دوره ولكن لسوء الحظ انقطع التيار الكهربائي فجأة.. فقال: وشي دا يا دكتور ولا إيه؟

الطبيب: وشك؟؟ ماله وشك؟

سليم «في انكسار واضح»: أنا مشكلتي كبيرة يا دكتور أنا معدتش بحس إن مصيبتي سهلة إلا لما أقعد أسمع مصايب كتير من غيري عشان أقول الحمد لله رغم إن الحمد لله في كل حال طبعًا.

الطبيب: بتتألم؟

سليم: يا دكتور أنا شايف إننا نتكلم أما النور يجي دا أنا حتى مش شايفك.

الطبيب: لا نكمل كدا أفضل.. اعتبرنا بندردش مع بعض.

سليم: أنا فاقد الثقة في نفسي تمامًا مهزوز مخنوق مش قادر أعيش زي غيري دايمًا بحسدهم على حياتهم العادية.

الطبيب: وانت حياتك مش عادية؟؟ فكّر تاني كدا.

سليم: تقصد إيه يا دكتور؟

الطبيب: أقصد إنك أكيد برضو بتملك شيء هم يتمنوا يملكوه.

سليم: يملكوه حلال عليهم أيًّا كان إيه هو.. بس أنا نفسي أملك اللي عندهم.

الطبيب: وإيه فيهم أقيم؟؟ومين اللي بيقيم؟؟

سليم: الاتنين مع بعض قيمة.

الطبيب: يعني هم فاقدين حاجة قيمة؟

سليم: لا أنا اللي فاقد حاجة عادية ودا الألم الحقيقي؟

الطبيب: فقدان الشيء القيم ولَّا فقدان الشيء الأساسي أصعب؟

سليم: وازاي أعيش بالقيم من غير الأساسي؟

الطبيب: اشعر بالاستثنائية.. حس إنك غريب عن العالم.. لو اقتنعت إنك غريب هاتعيش عادي.

سليم: وليه أعيش غريب ومتعذب بالإحساس دا؟

الطبيب: عايزك تكون زي الطيور.. هي عارفة إنها شيء مختلف وسعيدة بكدا.

سليم: طيب وهي فاهمة إنها غريبة؟؟

الطبيب: طيب ما انت كإنسان مش بتفهمها إنها غريبة ومش بتبصلها بدهشة.. بالعكس إنت بتبصلها بإعجاب.

سليم: يعني جمال الطير في تآلفه مع إنه غريب عن الإنسان ولا في جماله نفسه؟

الطبيب: الاتنين.. لأن الطيور لو كانت حاسة إنها غريبة وبس وخايفة من كدا كانت استخبت عالطول في الجحور مش بنت الأعشاش ع الشجر.

سليم: هم دول السببين اللي بيدوا الطيور ثقة في نفسها.

الطبيب: لا وفي سبب تالت مهم.

سليم: إيه هو.

الطبيب: إحساسها إنك إنت اللي غريب مش هي.

سليم: الإنسان هو اللي غريب؟؟

الطبيب: من أنانية الإنسان إنه فاكر نفسه هو الحقيقة الثابتة وهو موضع المقارنة.

سليم: أيوه بس ربنا قال إن الإنسان اتخلق في أحسن تقويم.

الطبيب: أيوه وربنا كمان اتكلم عن جمال العالم والتدبر في بديع صنعه يعني مش الإنسان فقط إنما الإنسان فاكر نفسه إنه هو الأصل والطيور والجبال والشجر هي اللي تتقارن بيه.

سليم: دي أنانية منه ولّا إيمان بالرسالة؟

الطبيب: وهو انت رسالتك إنك تكون الحقيقة ولا إنك تدور عن الحقيقة؟

سليم: أدور عن الحقيقة بجمال مشوَّه؟

الطبيب: مش أحسن من إنك تدور عن الجمال بحقيقة مشوهة؟

سليم: أنا عايز أتعالج.. أرجوك أنا عايز أتعالج وابص للناس بشكل طبيعي.

الطبيب: ولو بصيتلهم بشكل طبيعي تفتكر هم عمرهم هيبصولك بشكل طبيعي؟؟ الناس كلها أمراض.

سليم: أفهمها.. أتعايش معاها يا دكتور بس أحط عيني في عنيهم مش أبص في الأرض.

الطبيب: صدقني من حسرتك وخيبة أملك فيهم هتبص في الأرض برضو.

سليم: نخوض التجربة.. أمل مزيف موافق عليه.. أنا جربت علاج كتير ومافيش فايدة.. العيب في وشي لسه موجود.

الطبيب: تعالى يا سليم اقعد على السرير دا.

بدأ الطبيب في وضع مجموعة من الأسلاك حول رأس سليم وبدأ سليم في استرجاع أجزاء من حياته على سبيل التسلية أثناء جلسة العلاج المنتظرة حينما يعود التيار الكهربائي ولنعتبرها «**لقطات من حياة سليم**».

اللقطة الأولى:

في أحد أماكن التصوير في مصر في مكان عمل سليم:

الريجيسير: أنا أكتر واحد بيتعب هنا.. اه والله.

سليم: فعلًا ربنا يكون في عونك.

الريجيسير: أنا موجود لخدمة الجميع.. الممثل عايزني أسليه أسليه.. أفسحه أفسحه.. إلخ.

سليم: إنت بتتعب فعلًا بس في الآخر اسمك بينزل على التتر في العمل وبتلاقي ثمرة مجهودك دا.

الريجيسير: فعلًا عندك حق.. ثمرة مجهودي أهم حاجة ثمرة مجهود السنين.. أنا هاروح أكمل شغلي.

اللقطة الثانية:

مجاميع في اللوكيشن:

سليم: إنتِ قايمة بدور إيه؟

الممثلة الكومبارس: والله ما أنا عارفة يا اخويا لسه هيحددوا الدور دلوقتي..

سليم: أول مرة تمثلي؟

الممثلة: فشر دا أنا عملت إعلانات وغادة عادل دي ما تفرقش عني حاجة لولا هو الحظ بس.. والله يا اخويا كنت زي القمر في الإعلان اللي فات واللي قبله.

سليم: اسمك إيه؟

الممثلة: سها.. محسوبتك سها.. ورقم تليفونك كمان بقى يا سي الأستاذ؟

سليم: عاشت الأسامي يا ست سها.. خليها فرصة تانية.. وان شاء الله تلاقي الدور اللي يناسبك واشوفك بطلة.

اللقطة الثالثة:

في كواليس العمل:

المنجد: عارف حضرتك..

سليم: أفندم؟

المنجد: اسمك إيه؟

سليم: سليم.

المنجد: شوف يا سي سليم.. أنا أبويا وانا صغير كان يسيبلي السجاير بنفسه فوق الدولاب لأنه شافني مرة بشرب سجاير وقال إن من هنا ورايح لازم أشرب قدامه مش من وراه.

سليم: مبدأ برضو.

المنجد: شكلك بتألِّس عليَّ.

سليم: لا والله مش القصد بس هي فكرة برضو على سبيل المصارحة يعني.

المنجد: اه والله الوالد دا ما يتعوضش.. كان يأكلني بإيده معلقة السمنة عشان أتغذى في البلد عندنا.

سليم: ونعم الناس يا سيدي.

اللقطة الرابعة:

ممثلة صغيرة تشكو لمساعد المخرج من المنتج:

ممثلة: تخيل حضرتك.. تخيل أروح أقوله عايزة دور.. يقولي أنا عايزك إنتِ شوفت الوساخة وقلة الأصل.. والمصيبة إنه عارفني وانا مش غريبة عنه.

مساعد المخرج: فعلًا الناس ما عادش عندها ضمير.. إيه الوساخة دي.. سيبك منه أنا هاشوفلك فرصة أحسن ستين مرة من شكله.

ممثلة: ربنا يخليك ليَّا إنت فعلًا ونعم الأخ وإنسان محترم.

مساعد المخرج: ما تشكرنيش.. أنا بعمل الواجب بس وعشان الفن بيحتاج الموهوبين اللي زيك.

اللقطة الخامسة:

عم حسن: يا أستاذي الفاضل البرشام بيوقع السنان.

سليم: وانت عشان كدا ما بتاخدش برشام يا عم حسن؟

عم حسن: والله أنا عمري ما آخد الزفت دا.. بيهد الحيل ويخليك رابط في السرير.. إنت عارف الواد اللي جوا دا.. واخد برشام.. أمه العيانة بتصحيه يجيبلها لقمة بيفضل نايم للفجر لحد ما ماتت أمه وهو صِحي دفنها وكمل نوم.. والبرشام هد حيله ودخل المستشفى مرتين.

والغريبة يا أستاذ إنه كان يقولك «**أصل عندي داء النوم.. أصل واحد عملي عمل النوم.**» دا كلام يُعقل بالذمة؟

سليم: فعلًا سكنه هباب أحسن إنك بعيد عنه يا عم حسن..

عم حسن: يا أستاذ دا البت بتبيعه في صدرها دلوقتي وعارفة إن الظابط مش ها يعرف يقفشها لا مؤاخذة ويلعب في البرشام وإلا هاتقول عليه بيتحرش.. التاجر الكبير يبعت البت من دول تجيب دماغ الشباب بالبرشام..

سليم: يا ساتر يارب أفظع استغلال للبنات.. دا طبعًا غير إنهم اكيد بيشغلوهم في الدعارة.

عم حسن: أكيد يا أستاذ.. دول عالم ما تعرفش ربنا.. أستغفر الله.. الحمد لله إننا بعيد عن السكة دي.

في عيادة الطبيب:

الطبيب: مالك يا أستاذ سليم.. سرحت في إيه من أول الجلسة وساكت كدا.

سليم: أنا شايف إننا نشيل الأسلاك دي يا دكتور.. ارتجاع بيولوجي إيه والعالم هو اللي عايز يرجع لنفسه من تاني.

الطبيب: تصالح مع نفسك يا سليم.. تصالح حتى مع قبحك لو كنت فاكر نفسك قبيح.

سليم: أنا خلاص مش عايز علاج يا دكتور أنا اقتنعت بكلامك.

الطبيب: بس إيه اللي حصل بالظبط.. إنت من شوية كنت مُصر على العلاج.. ممكن أفهم إيه اللي خلاك ترجع في كلامك؟

سليم: قررت أكون زي الطيور.. ومش بس كدا أنا هاكون الحقيقة وهو مجرد دور بهلوان بيخبي ألف حقيقة وكذبة جواه في نفس الوقت.

بدأ الطبيب في نزع الأسلاك دون أن يدري ما الذي غيَّر سليم فجأة وأثناه عن قراره بالعلاج؟؟ هل اقتنع حقًا أم أنه تذكر شيئًا ما أثناء فترة شروده جعلته ينسحب ويرضى بحالته؟

سيظل القارئ الآن متحيرًا ويسأل: «**ما الشيء الذي جعل سليم يُقرر أن يترك العلاج؟ وما علاقة اللقطات التي تذكرها بانسحابه؟**» اممم سأقول لكم بعد قليل..

ربما ستقولون في سركم الآن أنني غريب الأطوار.. ولكني قلتُ لكم «**بعد قليل**» لأنني أتحدث الآن مع سليم شخصيًا لأحاول أن أعرف منه ما الذي حدث؟

الآن عدتُ إليكم.. هل تريدون معرفة سبب انسحاب سليم؟ إنه قُبح الآخرين..

حدث كل هذا في يوم واحد كما حكى لي سليم وقال: لقد انسحبتُ من جلسة العلاج لأن العالم كان قبيحًا حولي لدرجة أنني اقتنعت بأنه من يحتاج إلى العلاج وليس وجهي.. لقد اقتنعت بحديث الطبيب عن فكرة الطيور والجمال ولكني أيضًا تذكرت مشهد من حياتي لا يُنسى من خلال اللقطات التي تذكرتها أثناء الجلسة.. حدث هذا كله في غرفةِ الملابس عندما دخلتُ على مساعد المخرج فوجدته في وضع مخل مع الممثلة الناشئة التي كانت تشتكي من المنتج واستغلاله لها..

لقد هجرت الممثلة المنتج لكي تقع في براثن مساعد المخرج خرجت من الهاوية إلى غياهب الجب.. إنه مسلسل السقوط الدائم..

قال سليم في أسى بالغ ودمعت عيناه: افتكرت الممثلة دي محترمة طلعت حقيقتها إنها بتوقع مساعد المخرج..

افتكرت الريجيسير بيشتكي من التعب طلع بيشتكي إن الممثلة اللي كبرها هو بإيده خانته ووقعته بعد ما كان ممثل كبير.

افتكرت المنجد اللي اتكلم عن أبوه بيحبه.. طلع إن جسمه كله متعلم من الكرابيج اللي كان أبوه بيضربه بيها.

حتي عم حسن.. عرفت في الآخر إنه بيضرب مراته عشان فلوس البرشام الزفت دا..

هم دول اللي عايز أتعالج عشانهم..؟؟، يا أخي دا انت لو جبت أدوية العالم كله ما يعالجش القبح اللي جواهم.. اتفووووه على دول بشر..

مرت السنوات وظهر علاج فعلي لحالة سليم الغريبة ولكني عرفت في النهاية أنه لم يعالج حتى الآن..

بل إن الحالة ازدادت سوءًا ولكنه يبتسم للدنيا ويضحك بصوتٍ قوي من داخله على كل من فكر العلاج من أجلهم..

وما زال يتذكر الجملة التي تقول «**تصالح مع قبحك..**» وقد تصالح مع قبحهِ كما يراه..!

سيجارة على هامش الرحلة

لا أعرف لماذا أشعر بأن هذا الصباح لن يكون عاديًا.. ربما من نظراتِ الناس المريبة من خلف الصحف اليومية والنظارات الشمسية التي يلونون بها الدنيا باللونِ القاحل دون أدنى سبب سوى ضوء الشمس الذهبي الرائع.

عندما أنهيت فنجان قهوتي وأخذت مفاتيح السيارة ظللت أعيد النظر في كل ما حولي لأعيد ترتيبه «**وسواس قهري**».. نعم كان لابد أن أتحدث عن الحالة الوسواسية الغريبة في إعادة ترتيب الأشياء.. أحاول أن أعيد تناسق العالم المبعثر ولو على منضدة.. ولو حتى في قلبي فقط.. هذا العالم مريض بالفوضى البشرية بالرغم من التنظيم الإلهي المحكم والعبقري.

عندما دخلت السيارة انتابني الفزع.. أدرتُ المحرك ثم نظرت أسفل قدمي لأرى جزءً من «**سيجارة**» مشتعلة.. ما الذي حدث؟؟ من الذي دخل إلى السيارة قبلي.. هل هو لص؟؟ والسيجارة ما زالت مشتعلة وما زاد الطينة بلة أنني سمعت أصوات تصرخ في «**شنطة السيارة**» **وتقول:** «**أرجوك خرجني.. الحقووووووني**».

قلت لكم إنه لن يكون صباحًا عاديًا.. فالأيام الاستثنائية ستعرفها من بدايتها في انعكاس القدر على وجوه الناس.. خرجتُ مسرعًا من السيارة.. قلت في سري «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. في إيه النهاردة؟؟**».

ازداد الصراخ: «**الحقووووني.. أرجوك انقذني**».. ولكن.. انتظروا.. أنا اعرف هذا الصوت جيدًا رغم ما مر من عُمر هل ممكن هذا؟؟ هل تكون هي؟؟ وكانت المفاجأة التي جمدت كل حواسي عندما فتحت «**شنطة السيارة**» ووجدتها هي.. نعم إنها «**دينا**»..

قلت: د.. د.. د.. .. إزاي؟؟ مين مكتفك كدا؟؟وازاي في عربيتي أنا بالذات؟؟

دينا: إنت؟؟مش معقول!! أرجوك فكني بسرعة وبعدين نتفاهم.

قمتُ بفك وثاقها وأخرجتها من شنطةِ السيارة إلى المقعد الأمامي وأنا محلق في «إيفرست» ذهولي.. وسألتها: يا ريت تفهميني اللي حصل لإن اليوم دا أغرب يوم مر في حياتي تقريبًا.

قالت: آاااه أشرحلك إيه ولا إيه.. تقدر تقول إني مستغربة زيك تمامًا.. بجد مش فاهمة إيه اللي بيحصلي من أول اليوم دا.. كمل بس الطريق ونتكلم.

تلاقت العيون فجأة وكأن الذكرى تدق جدران قلبي بنبال نظرتها الذكية القاتلة الواثقة الأبدية الغريبة القريبة الحبيبة.. ولنظرتها ٩٩ صفة أحصاها قلبي من قبل في الماضي ولم يدخل الجنة!!

قالت في أنوثةٍ قاتلة: إنت فاكر أيام زمان..

قلت: زمان ذاكرته أقوى.. هو اللي ما بينساش حد.. وبيعذب الكل..

قالت: أنا عمري من يومها ما كان عندي حاضر.

قلت: وانا عمري ما شوفت مستقبل.

ابتسمت في رقةٍ مميتة وقالت: إنت لسه بتسمع الأغنية دي؟؟ وأمسكت بأصابعها الناعمة «**سي دي**» مكتوب عليه «**سيلين ديون**».. وكانت متيقنة أن الأغنية المفضلة على هذا السي دي..

وبدأت كلمات الأغنية تنساب إلى مسامعي وخرجت دينا من فتحة سقف السيارة تستنشق نسيم الحرية وتلوح بيديها راقصة وكانت الأغنية تقول:

Got your invitation to the dance.

Wear your party dress.

Maybe I was just an innocent.

But I confess.

I never even knew the song.

The orchestra was playing.

See the cuties in their party clothes.

Oh it's getting warm.

Off the shoulder cut into the hip.

Like a uniform.

Did you think I'd want to tow the line.

Well now the line is broken.

وعندما ترقص دينا من فتحة السيارة وتداعب الرياح شعرها على أنغام هذه الأغنية تحديدًا.. ثق تمامًا أنني كنتُ تقريبًا «**أموت إكلينيكيًا**» من شدةِ الوجد والغرام..

حتى الآن لم أفهم ما هي بداية اليوم.. هي لم تشرح لي وأنا أيضًا لا أستطيع أن أشرح لها.. ولكن قد يشرح لنا صاحب السيجارة الذي ألقاها داخل السيارة وهرب مسرعًا..

قلت لها: ادخلي يا دينا عشان الدنيا برد قوي برة أنا خايف عليكِ..

قالت وهي تتحسس شعري: طول عمرك بتخاف عليَّا بجنون.

دخلت إلى السيارة مرة أخرى وأغلقت فتحة السقف التي فتحتها لها وفجأة رأينا رجلًا على جانب الطريق يشير إلينا بهلعٍ **ويقول:** الحقووووني الحقووووني.

قلت: إيه اليوم دا؟؟ تاني؟؟ أنا إيه اللي نزلني النهاردة.

وقفتُ على جانب الطريق ونظرتُ مستفهمًا من الرجل عن ما حل به.. قال «في خبثٍ واضح»: ما شوفتش سيجارتي يا أستاذ؟

قلت: إنت؟؟؟؟؟ إنت صاحب السيجارة؟؟؟؟

فرَّ مسرعًا وحاولتُ أن أركض ورائه لكن دون جدوى وكأنه يجري بسرعة الضوء.. **وقال وهو ينظر خلفه:** كمل بس الطريق..

مرة أخرى نفس الجملة «**كمل بس الطريق**».. لقد مللت من هذا الطريق وكثرة ما عليه من حيرة وغربة..

عدتُ إلى السيارة لأجد دينا تتشاجر مع امرأة شبه عارية.. صدرها وكأنه شجرة رمان.. جمالها قد يجعل الأرض تلتف حول نفسها في شكلِ «**باقة أزهار**» لتقدم نفسها إليها.. ولكن كيف دخلت إلى السيارة؟؟ من هذه المرأة؟؟

قلت: دينا.. إيه اللي بيحصل؟؟ مين دي وإيه دخلها العربية؟؟

قالت: إنت كنت فين وسايبني مع المجنونة دي.

قلت: أنا كنت بجري ورا الراجل اللي كتفك ورمي السيجارة في العربية.

قالت: أهي دي دخلت العربية وقالت إنها كانت مستنياك هنا بالظبط.. إنت تعرفها؟؟ إنت تعرف الأشكال دي؟

قالت الأخرى: احترمي نفسك.. أنا أنضف من عشرة زيك وهو عارفني كويس.. مش كدا يا حبيبي؟؟ كمل بس طريقك ونتفاهم.

قلت: حبيبك؟؟ أنا أعرفك منين؟؟ وبعدين ملعون أبو الطريق دا اللي كل واحد يقولي كمله..

قالت «في إغواءٍ واضح»: امممم يعني نسيت كل اللي كان بيننا.. واحشني..

وفجأة بحركةٍ جنونية أمسَكَت رأسي بيديها وقبلتني قبلة فرنسية وكأنها تفاحة سامة جميلة.. **جن جنون دينا وصرخت:** بقى كدا.. طيب نزلوني بقى.. نزلوني من هنا وقف العربية حالاااااااااا.

قلت: استني بس يا دينا أنا معرفش بجد مين دي.. وانتِ أكتر واحدة عارفة إن اليوم دا كله مش مفهوم يبقى اعذريني..

كان هناك بعض الباعة الجائلين على جانب الطريق يحملون أغرب أنواع البضائع مكتوب عليها package.

وسألني أحدهم: هتاخد الـ «**باكيج**» ولا قدام شوية؟؟

ما الذي يتحدث عنه؟؟ وما هي «**الباكيج**» التي يقصدها؟ قلت لكم إنه يوم مصبوغ بلون الجنون الكامل.

كلما نظرتُ إلى دينا بجواري كنتُ أتذكر وكأن توفيق الحكيم يهمس في أذني ويقول «**المرأة تحب قلب الرجل المشوي**».. نعم حقًا إن قلبي هو وجبتها المفضلة.

قالت دينا: إنت بتحبه؟

قلت: تقصدي مين؟

قالت: كافكا؟

قلت: كافكا؟؟؟ إيه اللي فكرك بيه؟؟

قالت: ما انت حاطط كل كتبه في تابلوه العربية أهوه..

أوقفتُ السيارة في فزع ونظرتُ إلى مجموعة الكتب ولا أعرف من أين جاءت.. إنهاً نسخة أخرى تمامًا غير التي كانت في منزلي.. من المؤكد أن الذي وضعها هو المجنون صاحب السيجارة.. ماذا يقصد بكل هذا؟؟ لماذا اختارني تحديدًا لأمارس هذا الدور المفزع في مسرحيته؟

يمر الوقت في السيارة وما زلنا في الطريق ليلًا لا نعرف له بداية من نهاية حتى قالت دينا: إنت إيه اللي حصلك؟؟

قلت: إيه اللي حصل؟

قالت: بص لنفسك في المراية..

نظرتُ إليها في تعجبٍ فقد بدا وجهها مليئًا بالتجاعيد ثم نظرتُ إلى مرآةِ السيارة لأرى شعري وقد اشتعل شيبًا.. ثم نظرت إلى المرأة في المقعد الخلفي لأجدها ميتة وفي يدها زجاجة **«فودكا».. أوقفت السيارة وخرجتُ أصيح بأقصى صوت:** إيه اللي بيحصل؟؟ أنا فيييييين حد يجاااااااوبني.. يا عاااااااالم يا نااااااااس حرام عليكم.

عدتُ إلى السيارة وفي خلسةٍ مني وجدتُ الرجل صاحب السيجارة يجلس في المقعد الخلفي ويشير إليَّ في ثقةٍ أن أهدأ **وقال:** اطلع بس وكمل طريقك وانا هاشرحلك كل حاجة.

شعرتُ كأن شيطان فاوست يُدخلني إلى عالمٍ آخر عالم لم يخطر على عقلِ بشر..

قابلت مجموعة من الأصدقاء يحملون نعشًا لأحد أصدقائنا في الطريق ويبكون.. ثم في الطريق وجدتُ أحد أصدقائي يطلب مني أن يركب السيارة معي لأوصله إلى ابنه الذي تزوج ليبارك له..

رأيتُ مقابر عائلتي في غيرِ موضعها وقرأتُ الفاتحة.. ورأيت زوجتي التي توفت في حادثِ سير وهي في صندوق زجاجي مغطى بالزهور.. بكيتُ كثيرًا وشاركتني دينا البكاء.. ولا أعرف هل بكت لأنني بكيت أم لأنني أبكي على غيرها.. فالمرأة تريد أن تملك كل شيء في الرجل حتى دموعه.

قلت لصاحب السيجارة فجأة: ليه اخترتني أنا ليه؟؟

قال وهو يشعل سيجارته: أنا ما بختارش حد.. إنت اللي لازم تكمل الرحلة كلها.. إنت خلصت الباكيدج كلها؟

قلت: إيه الباكيدج دي كمان اللي في كل مكان ع الطريق؟؟ إنتوا أكيد مجانين ودي لعبة بتتلعب علينا أنا هاوديكم في داهية.

قال: إهدى بس وكمل الطريق..

أوقفني أحدهم وقال لي: افتح العلبة دي خلاص.. إنت وصلت ولازم تاخد آخر حتة في الباكيدج.

فتحت العلبة لأجد شهادات وفاة ووثائق للزواج وشهادات نجاح وغيرها من الأوراق..

قال الرجل: إيه رأيك؟

قلت له: رأيي في إيه؟؟ دي شهادات وفاة لناس أعرفها.. العلبة فيها أفراحهم وأحزانهم.

قال: اوصل بس للآخر في الورق.

وصلت إلى آخر ورقة واقشعر جسدي ولم أتمالك نفسي من العويل والصراخ الهستيري وجحظت عيناي عندما وجدت «**شهادة وفاة دينا**».. **قلت:** مش معقول.. دي جنبي هنا.. مماتتش ولا حاجة إنت مجنون..

نظرتُ إليها فوجدتها قد فارقت الحياة ولم يبقَ إلا أنا وهو داخل السيارة..

قال: بدأت بالحب وفارقته ورجعلك وفارقته.. خلصت كدا رحلتك.. بس إيه نصيبه أكبر؟

قلت: نصيب إيه؟

قال: الفرح ولا الحزن أقوى؟

نظرتُ إليه في رعبٍ ثم نظر هو إلى السماء **وقال:** خلاص..

وجدت أوركسترا تعزف على الطريق لحنًا هادئًا كلاسيكيًا لموزارت ثم ألقى سيجارته خارج السيارة وخرج منها وقال بصوتٍ أعلى وهو يُصفق وينظر خلفه **ويقول:** أكملوا رحلته.

فتاة من أزمير

هل تؤمن بالخرفات؟؟، قالت «**روجدا**» وهي مبتسمة لخالد ابتسامة ذات مغزى ونظرت في وسط المياه إلى Kız Kulesi.

يسمونها قلعة الفتاة في وسط مضيق البسفور في تركيا.. حينما قابلها خالد في بداية الأمر لم يكن يعرف انه سيتذكر معها حبه الأول الذي افتقده وفقده منذ عدة سنواتٍ خلت.. كانت بالنسبةِ له في البداية مجرد فتاة تقمصت دور المرشدة السياحية وتحب أن تجد مساحات مشتركة بينها وبين ركاب السفينة.. وحيدة من سوريا.. سوريا المعذبة والمكوية بالنار.. عائلتها في سوريا الجميلة الأصيلة وحياتها في أزمير.. هذا ما عرِفهُ فيما بعد حينما ترقرقت تلك الدمعة المشتاقة الحانية من مقلتيها..

قال خالد: دائمًا ما أُحب الاستماع لأيةٍ أساطير جديدة.. ما قصة تلك القلعة في وسط المياه؟؟

قالت: قصة عجيبة تقول بأن هناك فتى كان يحب فتاة ويسكنان على ضفافِ المضيق وكانا يلتقيان في المنتصف وبنى الفتى هذا البناء في وسط المياه ليلتقيان فيه ولكن الفتاة ماتت في

أحد الأيام أثناء السباحة لمكانِ اللقاء فحزن الفتى حزنًا شديدًا وظل في هذا المكان حتى مات هو أيضًا من حزنهِ على حبيبته.

قال: الفراق.. هل تؤمنين بنظرية عدم حقيقة الفراق؟؟، هل الفراق موجود حقًا أم هو يحدث ولا يحدث كما يقول البعض ومنهم جبران..؟

قالت في «تنهيدة»: امممم أظن إن الفراق قاسي كأنه لحظة انكار للحياة.. إن تجد الحياة تنكر وجودك.. تنكرك.. تنكر حتى ملامحك..

في زمنٍ آخر:

وقف خالد أمام المرآة يحلق ذقنه بهدوءٍ حينما دخل فجأة أبوه إلى «الحمام» متلهفًا وهو يُغني: جفنه علم الغزل تراااام تراااام..

خالد: أبي؟؟ ماذا يحدث؟؟ انتظر حتى أخرج أرجوك فأنا أحلق ذقني..

الأب: سآتي إليكِ حالًا يا مهجة روحي وفؤادي..

خالد: ما هذا الكلام يا أبي وإلى من تتحدث؟؟

يسمع صوتًا قادمًا من بعيد: ما تتأخرش عليًّا يا عبد الدايم.. أنا مستنياك..

لم يفهم خالد ما الذي يجري حوله كان مندهشًا ولا يعرف هل ما يسمعه صوت أمه التي ماتت منذ سنوات؟؟ هل هذا الصوت القادم من العدم هو صوت أمه؟؟ وهل كان أبوه يحدثها منذ ثوانٍ؟؟

خرج إلى الغرفةِ المجاورة وجحظت عيناه من الدهشة حينما وجد أمه بفستان الفرح وما زالت تضع طرحتها جانبًا وتغني هي أيضًا أغاني قديمة لعبد الحليم وتنتظر زوجها عبد الدايم والد خالد..

دخل عبد الدايم إلى الغرفة وأمسك بيد زوجته في لهفةٍ وغرام وقال لها: أخيرًا سيجمعنا بيت واحد.. كم حلمت بتلك اللحظة.. آه يا فاطمة.. إنها أجمل لحظة في حياتي..

صاح خالد في ذهولٍ : أبي؟؟ أمي؟؟ ما الذي يحدث؟؟

لم يجد صدىً لما قاله لهم وكأنهم لم يسمعوه وظل يصيح أمامهم بلا جدوى ولا استجابة تذكر.. ظل يرج كتف أبيه كي يرد عليه بلا مجيب.. إنه غير موجود.. غير محسوس.. كل ما يحدث هو جنون محض.. إنه يرى تفاصيل ليلة الدخلة بين أمه وأبيه كان يريد كما يقولون «**أن تنشق الأرض وتبلعه**»..

خرج مسرعًا من الغرفةِ متعرقًا حائرًا لا يعرف أين يذهب.. يسمع صوت أمه في كلِ مكانٍ في الشقة.. يسمع تأوهات ليلة الدخلة تطن في أذنيه طنين لا حيلة له به.. إنه يشعر برغبةٍ محرمة في أن ينظر إلى ما لا يجب أن ينظر إليه.. إنه فضول جائع شبق..

لحظة عجيبة ومخجلة ولكنها في نفس الوقت تشعل الرغبة داخله.. يمسك برأسه يكاد الصداع أن يمزقه.. يخدش الحائط بأظافره ويسقط تدريجيًا كأنه مبنى يتهاوى.. يسمع أصواتًا في أذنيه تردد.

«**أووووديب.. هيا افقأ عينيك.. .. أووووووديب هيا افقأ عينيك**»..

ذهب إلى الغرفةِ يتلذذ بالمشهد.. يرى ذلك الغريب أباه وهو يمارس الحب مع والدته أمام عينيه.. وعلي الارض فستان الفرح المهمل وطرحة ملقاة فوقها في مشهد يسيل له لعابه..

مرت شهور وهو أسير هذا المنزل.. أصبح يدمن لحظات الغزل بين أمه وأبيه ويسترق السمع لهم.. إنه في الحقيقة لم يولد بعد.. إنه غير منظور وغير محسوس إنه يعيش في عصرٍ لا يجب أن يظهر به أبدًا.. **حتى جاءت لحظة أن حدث بينهما هذا الحوار بعد شهورٍ طويلة:**

عبد الدايم: يعني ايه يا ست هانم مش هتحملي؟؟ وايه الحبوب اللي بتاخديها دي؟

فاطمة: قولتلك مش عايزة طفل دلوقتي هو بالعافية؟

عبد الدايم: أيوه بالعافية واتكلمنا كتير في الموضوع دا وامي بتضغط عليا كمان ومستغربة من اللي بيحصل احنا بقالنا كتير ولسه مافيش أخبار.. وانا بقولها هانت يا ماما.

فاطمة: والله عال حتى أمك متابعة كمان موضوع الخلفة وكأنه ابنها هي.. دا تدخُّل سافر في أمورنا.

عبد الدايم: ما تقوليش كلمة واحدة على ماما.. دي أغلى عليَّ من كل حاجة في الدنيا.. قولي باختصار إن في الأمور أمور وانك مش عايزة تكملي اربتاطك بيا لسبب.

فاطمة: قصدك إيه يا عبد الدايم أنا لا يمكن أقبل بالإهانة دي.

أصاب خالد الصداع الحاد مرة أخرى.. إن أمه التي أحبها هذا الحب الغريب والمحرم.. تنكر وجوده إنه لن يأتي أصلًا إلى هذه الدنيا.. لقد فتح الباب بعد أيام وظهر «**المحضر**» الذي أعطاها ورقة الطلاق.. لقد غادر عبد الدايم المنزل وطلق زوجته.. فمن هو.. من هو خالد الذي رأى كل شيء.. هل ستفقأ عينيك سدى يا أوديب؟؟ إنك لم تفعل شيئًا خاطئ لأنك لم تظهر قط.. إنك لم تُخلق من الأساس.. لقد شعر بالحب ثم يشعر الآن في إعادة التفكير في وجودهِ وحياته..

شعور مرعب أن تُفكر في وجودك.. هل أنت موجود أصلًا هل يرونك؟؟ هل أنت مخلوق حقًا أم أنت حلم في عقل بوذي معلق في وسط الجبال؟؟؟

ظل يمسك كتفها ويضربها وهي لا تشعر بأي شيء.. **إنها تبكي الآن وهو يصرخ:** لماذا تبكين؟؟؟

لا لا.. أرجوك لا تبكي.. سيعود إليكِ وسآتي أنا إلى الدنيا.. كم أشتاق لرؤيةِ نفسي.. .صدقيني أنا لست عدم.. أنا لست من العدم.. أنا الحياة.. أنا الحب.. أنا الحب.

سقطت دموعها فوق الورقة وسقطت مغشيًا عليها.. ومرت الأيام في المستشفى وقالوا إن الانهيار العصبي هو سبب الوفاة..

وفاة؟؟ أي وفاة؟؟؟ هكذا صرخ خالد في هيستريا.. من أنا؟؟ كيف سآتي إلى هذه الدنيا؟؟ هل تراني أيها الطبيب؟؟ من هو خالد أيها الملاعين؟؟من هو خالد؟؟

ظل يبحث عن أبيه سنوات بلا جدوي.. كانت أمه هي الحب وأبوه هو الفراق.. لقد شعر الآن بالفراق.. يشعر أنه في قصة مليئة بالإسقاطات الغريبة.. قال في صوتٍ واثق « **نعم إنه الفراق.. لقد اتفقوا معًا على أن ينكروني.. إنها لحظة انكار.. لحظة انكاررررررر**».

<u>على الباخرة:</u>

قالت روجدا وهي تضحك: نعم نعم أسمعك.. لماذا تصيح.. أين ذهبت بتفكيرك.. لقد سرحت لثوانٍ وكأنك كدت أن تبكي..

خالد: لا أعرف.. وكأنه ليس حلمَ يقظة.. إنه كابوس يقظة..

روجدا: كابوس يقظة.. غريب جدًا.. يبدو أنك تذكرت شيئًا عن الفراق حينما تحدثنا عنه.. آسفة إن كنت أزعجتك.

خالد: لا يا روجدا لم تزعجيني على الإطلاق.. لقد أزعجتني كلمة فراق التي نطقتها أنا..

نزلوا من الباخرة ورفعوا الشماسي حينما بدأ المطر في السقوط فجأة.. قال: المطر عندكم كأنه القدر؛ يأتي فجأة وبدون سابق إنذار.

قالت مبتسمة: نعم لقد تعودنا على الجنون الاسطنبولي..

كانت تتحدث العربية بطلاقة بسبب أصولها السورية.. كانت تملك تلك المسحة الملائكية بنكهة الجمال السوري الغريب ذي الطعم الخاص جدًا..

وكانت كلمة خالد الأخيرة «القدر» ذكرتها بعائلتها.. رأى دمعة تترقرق في عينيها الفردوسيتين وهي تقول: على سيرة القدر.. كم اشتقت إلى أهلي.. لا أعرف أي أخبار عنهم من فترة.. يسرني أنني قابلتك.. شخص من رائحة العرب.. أحبابي وأهلي العرب..

نظر إليها في تأثرٍ: أنا آسف إن ذكرتك بألمنا العربي.. لله درك يا سوريا.. يبدو أنني رددت لك الجميل ذكرتيني بالفراق وذكرتك بالقدر.

ابتسمت وهي تمسح دمعة تنبت من مقائيها وقالت: يبدو ذلك.. تعال نذهب إلى هذا السوق هناك.. هذه البلد مليئة بالأماكن الجميلة.

بعد أن قضوا اليوم معًا.. ركبوا الأتوبيس لآخر محطة وخرجوا من منطقةِ «كابتاش» متوجهين إلى منطقة «توبكابي».. **قالت له وهي تودعه:** كم يومًا ستبقى هنا؟

قال: لا أعرف ربما أسبوع عـ الأكثر.

قالت: هل ستأتي مرة أخرى؟ هل سأراك قريب؟

قال مبتسمًا: ندع القدر يُدبر كل شيء إنه يعرف ما يفعله جيدًا.. صدقيني جربته كثيرًا.

قالت: حتمًا.. أصدقك.. إلى لقاءٍ قريب.

قال: إلى اللقاء.. كم أسعدني لقاءك.

وخرج الأتوبيس وتركه وحده.. وما زال هو يقسم.. نعم ما زال يُقسم أنه رأى روح أبيه تحوم حولها في الأتوبيس وهي تلوِّح بيديها مودعة.. وأنه حينما ركب الطائرة المتوجهة إلى القاهرة سمع طنينًا في أذنه وصوتًا يهمس «**افقأ عينيك يا أوديب**».. ولكن نظر فجأة إلى جواره فلم يجد غير فتاة أمريكية نائمة.. ولكنها فتحت عينيها فجأة وابتسمت.. ولم يعرف أبدًا لماذا... لم يعرف أبدًا لماذا!!!!

مدام سهيلة.. الأم المثالية

إبريل ١٩٩٥ :

مدام «سهيلة» أرملة وحيدة لم تشتكِ يومًا من وحدتها.. فالبعض لا يشتكي الوحدة لأنه وحيد حتى في شكوته!

لا تلتقي كثيرًا بابنها الأكبر والوحيد **«أدهم»** لأنه مسافر في الخارج في إحدى البعثات ويكفيك أن تنظر إلى جسدها الغائر النحيل وعينيها المنحولتين كي تعرف ما تعانيه من ألم الاشتياق والحنين إلى **«أدهم»**.. كانت لا تفارق **«السيجارة»** وفنجان القهوة في كلِ يوم في تمام الخامسة وتجلس أمام سرير ابنها وكأنها تحكي له ما تَود أن تقوله.. وفي إحدى الليالي التي تدور في مدار دموعها قالت أمام سريره **وكأنها تُرسل خطابًا له:**

«ابني العزيز/ أدهم..

لا أعرف هل أُحدثك بصيغة العقل الرسمية وأقول «**تحية طيبة وبعد**» أم أخاطبك بلغةِ قلب الأم وأقول «**تحية طيبة وبقبل وبعد وإلى الأبد**».. أشتاق إليك يا بني وشوق الأم لا يُنهيه زمن ولا يغربه وطن.. أنت يا ولدي قطعة من لحمي خرجت إلى الحياة كي تُعيد تكويني وصياغتي.. هل تذكر هذا القميص الأصفر

الذي ارتديتهُ في عيد ميلادك العاشر وسكبت عليه ألوانك حينما قلت «**أمي علميني الرسم**».. لم أكن حينها أعرف شيئًا عن الرسم ولكني وجدت نفسي أرسم.. أرسم بلا وعي ولا أعرف حتى ما أرسمه ولكنه طلبك يا بني ولا أستطيع أن أرفضه حتى وإن كنت أجهله.. طلبك علم حتى وإن كنت جاهلة به.. طلبك حياة لي حتى وإن كان كالخل الوفي.. طلبك تحقيق لذاتي قبل أن يكون تحقيقًا لأمنية طفل.

لا أعرف يا أدهم ماذا تغيَّر.. لماذا فضَّلت العقل على العاطفة.. هل سوَّلَ لك عقلك أن تهجر أمك من أجل بعثة؟؟، إنه صراع مرير سقطتُ فيه أنا من قبل حينما تزوجت والدك.. لقد غلبت حينها قلبي يا بني على عقلي.. أبيك كان رجلًا فقيرًا شبه معدم ولكنها التضحية يا بُني.. كنت أعرف أنني أستطيع أن أخلق منه رجلًا ناجحًا.. قالوا وراء كل عظيم امرأة.. نعم هذا صحيح ووراء كل قصةِ حب رغبة وحلم ونجاحٍ.. رغباتنا تتجسد يا أدهم في عيون من نحب فنحاول فعل المستحيل لرسم ابتسامة سعيدة على شفتيه.. نحن نحقق أحلامنا حينما يتحقق لنا الحلم الأكبر وهو الارتباط بمن نعشقه..

لماذا تركتني يا أدهم كل هذه السنوات؟؟ نعم إنه العلم.. ولكن ماذا عن أمك الوحيدة الأرملة التي تركتها تعانق الأحزان وفناجين القهوة السوداء وكأنها ترتدي فستانَ سهرة الشماتة

الأسود وتنظر إلى بقاع فنجانها الأحمق وتقول «**أمامك سكة سفر.. ولن يعود يا حمقاء**»!!

ماذا إن رحلت يا أدهم؟؟ ألم تُفكِّر يومًا في أنني قد أموت ولا تعلم؟؟، أنك لا تحدثني حتى على الهاتف إلّا قليلًا.. كيف هنت عليك يا أدهم لهذه الدرجة.. هل تَذكُر هذا الصيف الذي رشحوني فيه لجائزةِ الأم المثالية؟؟ لم أفرح حينها بهذهِ الجائزة مثلما فرحت بقُبلتك التي طبعتها على رأسي أمام الجميع في الحفل.. نعم يا أدهم إن الأم تعيش ولا تشعر بالحياةِ إلَّا بقبلةٍ دافئة على يديها أو رأسها من أبنائها.. إنها الأمومة يا أدهم أجمل إحساس أعيشه معك إلى الأبد حتى وإن كنتَ بعيدًا عني يا ابني يا حبيبي..

مايو ٢٠٠٠:

ظابط شرطة: هل أنتِ متأكدة يا سيدتي؟

الجارة: نعم أرجوك افعل شيئًا لقد شاهدوها ولا نعرف مالذي حدث تحديدًا..

الظابط: لقد جاءتنا بعض الأقوال عن الحادث ولكنا سنذهب إلى الشقة لنرى بأنفسنا.. تستطيعين الانصراف..

يونيو ١٩٩٦ :

في نفسِ المكان الذي فازت فيه بالأم المثالية سابقًا:

تصفيق حاد من الضيوف وأصوات «**برااافو.. .هاااايل**».

المذيع: والآن حان الوقت لاختيار الأم المثالية لهذا العام وهي السيدة.. .. .

تدخل فجأة مدام سهيلة وتخطف منه «الميكرفون»

وتقول: نعم نعم.. أنا طبعًا.. أنا الأم المثالية.. أليس كذلك؟؟ هل تتذكرونني لقد حصلت على الجائزة من قبل منذ أعوام.. اااه ماذا أقول.. بالتأكيد تذكرونني جميعًا.. وهل أم مثلي تُضحي من أجل ابنها وتصنع من زوجها رجلًا ناجحًا وعظيمًا من بعد وجع الفقر وتستطيعون نسيانها.. لا يمكن طبعًا.. نعم نعم.. أنا الأم المثالية مبروك لكم ولي.

صوت همهمات في القاعة ثم بدأ الصياح.

أحد الضيوف: أخرجوا هذه السيدة المجنونة من هنا.

المذيع: هدوء من فضلكم.. أرجوك يا سيدتي لا تُحرجي نفسك أكثر من هذا.. الجائزة ستنالها مدام «**منال**» ولا أحد يعرفك في النادي.. أرجوك تفضلي قبل أن أضطر لطلبِ الأمن.

تخطف منه الميكرفون في غضبٍ: «**مدام منال**»؟؟ حقًا.. وماذا فعلت هي ولم أفعله.. .هل أجلَسَتهُ على فراشٍ وقدمت له القرابين مثلي؟؟ هل نثرت الزهور على جسدهِ وجعلت الفراشات

تحوم حوله مثلي؟؟ ماذا فعلت هي؟؟ أنا الأم المثالية دون شك أيها المغفل البائس..

يتعالى الصياح في القاعة ويحذرها المذيع: أرجوكِ لا داعي لهذه الطريقة ولا داعي لاستعمال العنف.. اخرجي في هدوءٍ قبل أن نضطر لاستخدام وسائل أخرى..

يدخل الأمن إلى القاعة ويُخرجون مدام «**سهيلة**» وهي تصيح في انهيارٍ عصبي حاد.. «العاطفة أيها الأغبياء.. أنتم تحكمون بالعقلِ مثله.. إنهم يحكمون مثلك يا أدهم بالعقل.. ولكن لو الجائزة بالعاطفة لفزت أنا على نساءِ العالم أجمع أيها المجانين».

مايو ٢٠٠٠:

تقتحم الشرطة شقة مدام «سهيلة».. ويقول الظابط لجارتها من العمارة المقابلة لها: هل أنتِ متأكدة؟ أسألك للمرة الأخيرة.

الجارة: نعم سيدي سترى بنفسك أنه شيء غريب وعجيب ونادر.

الظابط: إن كنتِ تكذبين سأضطر لتحرير محضر بلاغ كاذب..

الجارة: إنني لا أقول إلا الحقيقة وسترى بنفسك أغرب مشهد.

يقتحمون الشقة ويحطمون الباب ويقول الظابط: في أي غرفة تحديدًا؟

الجارة: هنا خلف هذا الباب.

يصيح الجميع في دهشةٍ: يا الله!!!!! ما هذا؟؟؟؟ إنه أفظع ما رأيت.

الظابط: اخرجوا جميعًا.

الجارة تصيح مذعورة في خوفٍ بالغ: إنه.. إنه.. مستحيل.. لا يمكن إطلاقًا.. يالجنون العالم.. . كيف!!! كيف!!!

يونيو ١٩٩٦ :

تجلس مدام سهيلة وتقرأ من ورقةٍ كتبتها في صيغة رسالة:

ابني الغالي أدهم..

هل تعرف أنهم لم يذكرونني في النادي.. منذ أن صرت أرملة ولا أحد يهتم بي.. صرتُ وحيدة تمامًا.. .أبوك كان يملئ عليّ الحياة وأنت أيضا.. ولكنك هجرتني بعقلك وهجرني هو بفعلِ القدر.. لم أخلع اللون الأسود منذ وفاته يا أدهم.. لقد اختاروا امرأة أخرى كأم مثالية يا أدهم وتركوني أنا.. أنا التي ضحيت وفعلت المستحيل هاجموني ولم يعرفني أحد في الحفل بل وطردوني يا أدهم..

لقد بكيت يا حبيبي حتى ضعف نظري بعد هذا الحفل.. ليس حزنًا على الجائزة يا صغيري ولكن حزنًا على عدم تقديرهم لما كُنته في حياتك يا أدهم.. هناك أمهات تلعب دورًا في حياة أبنائها ولكن أنا حياتك يا أدهم وأنت حياتي يا ابني.. أنا لا ألعب دورًا يا ابني ولكن أنا القصة نفسها وأنت تفاصيلي الكاملة وحبكتي ونهايتي وبدايتي..

هناك جارة لي يا أدهم تضايقني كثيرًا أشعر بأنها تتلصص عليّ.. أُغلق الستائر لأكتب رسائلي في هدوءٍ.. جارتنا التي تسكن في العمارة المقابلة لنا.. وكأنها تراقبني في وحدتي ولا أعرف ماذا تريد هي.. **قالت لي في يومٍ من شرفتها «هل تحبين الفراشات»**.. تعجبت من السؤال.. ولكني عرفت أنها تتلصص على وتري الفراشات التي أطلقتها في حجرتك يا صغيري.. نعم إني لو لم ألون حياتك فإني ألون شيئًا من رائحتك يا أدهم وهو غرفتك.. فرشتها بالزهور وملئتها بفراشاتٍ صغيرة تحوم حول المكان وكأني أخلق من ذكراك جنة عدن يا حبيبي..

مايو: ٢٠٠٠: في أحد أقسام الشرطة:

الظابط: تستطيعين أن تحصلي على مكالمةٍ للمحامي إن أردتي.

مدام سهيلة: عن ماذا سيدافع وما هي قضيته.. أنتم مجانين أنا لم أفعل شيئًا..

الظابط: حسنًا لنفتح المحضر وأرجو أن أحصل منكِ على الإجابات.

مدام سهيلة: حسنًا ولكني لم أفعل أي شيءٍ ولا أعرف سبب وجودي هنا.. هل من أجل اقتحام حفل الأم المثالية؟

الظابط: عن أي حفلٍ تتحدثين؟

مدام سهيلة: حسنًا تستطيع أن تسأل.

الظابط: متى آخر مرة زارك فيها أدهم.

سهيلة: منذ حوالي خمسة أعوام.

الظابط: وهل كانت أول مرة منذ زمنٍ؟

سهيلة: نعم لقد غاب عني فترة طويلة ولم يسأل عني أبدًا في غيابه حتى جننت من أجل أن أراه.. آاااه يا سيدي كم أفتقده الآن.

الظابط يصيح: أدخلوا الشاهدة..

تدخل جارتها في العمارة المقابلة وهي مذعورة وتقول: أيتها المجنونة.. سينتقم منك الرب.. .آه أيتها المختلة المأفونة.

سهيلة: أيتها المتلصصة الحمقاء هل وشيتي بي.. هل كنتِ تراقبينني؟

الجارة: اخرسي أيتها الفاجرة الوقحة المريضة.

الظابط: هدوء لو سمحتم.. متى كانت آخر مرة رأيتي فيها أدهم عند أمه؟

الجارة: منذ سنواتٍ آخر مرة وهي كانت المرة الوحيدة وقالت أنه سافر بعدها مرة أخرى للخارج ليُكمل بعثته.

الظابط: وكانت تعيش وحدها كل هذه الأعوام دون حتى زيارات؟

الجارة: نعم حاولت مرات أن أزورها فكانت تعتذر مني دائمًا فقلتُ إنها تحب العزلة ولم أرد أن أزعجها..

الظابط: وهل كانت دائمًا تُسدل الستار؟

الجارة: نعم.. دائمًا وبمواعيدٍ منتظمة بالثانية إلا مرة واحدة نسيتُ فيها الستارة مفتوحة وقامت بما تقوم به أمامي.. وعرفتُ بمراقبتها أنه طقس يومي تفعله.

الظابط: وهل رأيتي لحظات وقوع الجريمة؟؟

الجارة: لم أرَ الجريمة ولكني ظننتها في البداية مع رجلٍ غريب إلى أن رأيت بنفسي الجسد بعد أن اقتحمتوا الشقة وأنا معكم.

السجينة سامية: ابتعدوا عن هذه المجنونة أنها خطيرة جدًا.

السجينة تهاني: ماذا فعلت؟

سامية: يقولون أنها قتلت ابنها الوحيد وتركت جثتهُ تتعفن في غرفتهِ خمسة أعوام كاملة.

تهاني: هل حقًا فعلتي هذا أيتها المجنونة؟؟ إن مكانك مستشفى الأمراض العقلية وليس هنا.

سهيلة: ابتعدوا عني.. ابتعدوا عني أنا الأم المثالية.. أنا الأم المثالية لكلِ الأعوام..

سامية: إنها مريضة حقًا.. لقد قالوا إنه كان لا يزورها أبدًا وحين زارها مرة قتلته وفرشت له غرفته بالحرير وأطلقت فيها الفراشات وملئتها بالزهور بكلِ أنواعها.

تهاني: يا للعجب.. أي قلبٍ هذا؟؟ تقتل ابنها الوحيد؟

سامية: بل إنهم حين اقتحموا بيتها وجدوا آلاف الرسائل التي كانت تكتبها له وكأنه في الغربة وكانت تقف كل ليلةٍ تقرأ له رسالة وتقدم له هدية كل فترةٍ حتى أنهم وجدوا الغرفة مليئة بالهدايا المكدسة في كلِ مكانٍ حول الرسائل.

تهاني: وكأنها تقدم له القرابين.

سامية: لقد شهِدت عليها جارتها حينما رأتها مرة هذا ما سمعته.

مارس ١٩٩٥ :

سهيلة: لا أصدق نفسي هل عدت حقًا يا أدهم يا صغيري؟؟

أدهم: نعم يا أمي لقد عدت كي أراكِ لمدة أسبوعٍ كامل.

سهيلة: أسبوع واحد يا أدهم؟؟غبت عني سنواتٍ لتراني أسبوعًا؟؟ أين قلبك يا بني؟؟

أدهم: يا أمي العمل ثم العمل ثم العمل.. وأنتِ دائمًا في القلب صدقيني.

سهيلة: ولكني أظن أنك ستجلس معي إلى الأبد هذه المرة يا صغيري أليس كذلك؟

أدهم: كيف يا أمي؟؟ لابد أن أُكمل رحلة نجاحي في الخارج.

سهيلة: وماذا عن رحلة نجاحي أنا في قلبك يا أدهم؟

أدهم يتهاوى من الصدمة: ما هذا يا أمي؟؟ أتحملين مسدسًا؟؟

سهيلة: إنه كاتم للصوتِ يا أدهم كما تكتم عني عاطفتك وتلقيها بين كتبك وأوراقك.

أدهم «يبتلع ريقه بصعوبةٍ وينظر مشدوهًا»: أمي.. دعينا نتحدث بهدوءٍ.

سهيلة: لا يوجد وقت يا أدهم لقد حضَّرت غرفتك يا صغيري.. لقد حضَّرت لك الفراشات التي كنت تحب أن تراها في الحديقة وأنت صغير والهدايا التي كنت تحبها في كلِ عيد ميلاد.. وكل عام سأعطيك منها هدية يا حبيبي.

أدهم «يحاول الهرب»: أمي.. أمي.. لا لا.. اااااه.

المحضر يقول أنها ٤ رصاصات نافذة من صدره.. بينما تؤكد سهيلة في السجن أنها رصاصات الرحمة لعاطفةٍ قد باتت قاب قوسين أو أدنى من الموت في قلبه.. لقد قال الظابط أنه رأى فوق جثته على السرير الحرير وفي وسط الفراشات ورقة كبيرة مكتوب عليها:

«هنا قبر عاطفة الغريب القريب أدهم.. قرَّبتنا العاطفة وغرَّبتنا الحياة.. فأردتُ استعادة الحياة من صدره»!!

برواز الخطيئة

«العمر ليس بما للمرءِ من سنين.. بل بما يشعر به»

غابرييل غارسيا ماركيز

هي وهو.. قصة الحياة التي يُكملها جيلًا بعد جيل وهمسة بعد همسة وقلمًا وراء قلم..

«**كلما توغلت في عالمِ البشر كلما اقتربتُ من معنى جملة «ما خفي كان أعظم**» قال «**هو**» هذه الجملة.. وكانت «**هي**» تقف بجوار الجدار الذي تُعلق عليه اللوحات بعد تعديلها بأمر من «**هو**»..

كان يقول لها «**عيناك من فرط جمالها وكأنها جاءت تُخلِّص البشر من آثامهم.. وكأنها في رحمة المسيح**»..

كان يفهم خبايا البشر من أعينهم ويقول لها «**إن هؤلاء البشر أشبه ببكائية حزينة كالتي يُنشدها البعض.. ولكنهم بكائية نصفها الفرح ونصفها هيستريا الحياة**»..

قالت له في حدةٍ: أرجو أن تساعدني قليلًا وقل لي هل اللوحة جيدة في هذا الموضع؟؟

قال: دائمًا ما تهتمين بالمكان واهتم أنا باللوحة نفسها وماذا أضفنا إليها.

قالت: ألم أضف أنا معك بعض الرتوش للوحة.. هل تُنكر فضلي؟؟

قال: حقًا؟؟ ومن منا الرسام؟؟ أنتِ مجرد مساعدة للرسام لا تنسي نفسك أرجوك.

قالت في حدةٍ: وراء كل عظيم امرأة.

قال: آه.. حقًا؟؟ هل ما زالتً هذه الجملة الحمقاء سارية المفعول في هذا العالم؟؟ إنها وصفة الشيطان.. ألا ترى كل يومٍ حوادث قتل الأزواج والزوجات في كلِ بقاع الأرض؟

قالت: لم يعدك أحد باليوتوبيا ولكن آلاف الأزواج يعيشون في سعادة.

قال: هل تعرفين ما هو الزواج؟ إنه «**مايسترو الجحيم**».. إنه لحن نشاز الأرض وهمجية الأرواح وبعثرة كل منطق..

قالت «دامعة العين»: وهل هُنت عليك؟؟ لماذا كل هذه القسوة؟؟

كادت أن تسقط اللوحة من يدها سارع في خفةِ حركة إليها كالبرق وأمسكها.. **وقال:** اغربي من وجهي أيتها المأفونة.. كدتي أن تُضيِّعي تعب الفترة الماضية.

خرجت «**هي**» باكيةً.. تمسح عينيها بمنديلٍ حرير كان هدية من «**هو**» وقال حينها «**هذا المنديل هو الوحيد الذي يفهم لغة الفقد إذا فقدتي شيئًا غاليًا ونفيسًا فعليكِ به..**».

ظل «**هو**» يمسح بيديه اللوحة التي كادت أن تسقط وتتهشم ببروازها الناعم الخفيف وحوافها الزجاجية.. وقال لنفسهِ «**الآن يا حبيبي سأُضيف إليكِ هذه العلامة السوداء.. نعم.. ببساطة.. هكذا.. امممم.. جيد جدًا هذا ممتاز**».

وضع اللوحة على الجدار وذهب إليها وقال: دليني بالله عليكِ لماذا أنتِ غاضبة مني الآن؟؟

قالت «في صوتٍ متحشرج من البكاء»: لقد كرهت حياتي.. إنك تكرهني بسبب هذه اللوحات.. ما ذنبي أنا؟؟ هم الأشرار وليس أنا، وبعضهم طيبون هم من في اللوحة.. شخصيات اللوحة ولستُ أنا..

قال: وهل هناك أحد منهم لم تشاركي في ضلاله عن طريقه أيتها «**الغندورة**»!!

انقلب وجهها في غضبٍ وقالت: هل ستتعرض لسمعتي؟؟ لن أسمح لك.. أنا رمزٌ للشرفِ والوفاء.. أنت في حالةٍ غريبة اليوم ولن أتحدث معك.

قال: «**سامر حسين**» ألم تقنعيه بلعب القمار؟؟ ألم يسقط على قدميك في هذه الليلة ويقبلها؟؟ لقد رأيتك بأم عيني.

قالت: إنه الشيطان هو من أغواه.. أنا لست مسئولة عن أفعاله وكنتُ أمر أمام منزله بالصدفة.

قال: ما أكثر مصادفاتك أيتها «**السافلة**».

صفعها على خدها صفعة قوية طارت لها سلسلة كانت تلبسها مرسوم عليها صورة غريبة وكأنها تشمل «**البشرية**» كلها من كثرة الزحام في تفاصيل السلسلة..

قالت «وهي تهرب»: ماذا فعلت لك.. .لماذا تكرهني؟؟ تقول لي أن أضع التفاصيل على اللوحة ودائمًا ما أستجيب.. فماذا فعلت بحق السماء؟؟

قال: إنك تغوينهم جميعًا.

قالت: أنت الذي حددت لي هذا الطريق.. أنت السبب.

قال: لقد أعطيتك الحرية.. فخرجتي عن الطريق أنتِ و «**الكائن**» الغبي معك.

قالت: هو السبب.. ولا تضعني معه في جملةٍ واحدة.. ليس لي علاقة بهذا «**الكائن**».

قال: حقًا.. ألم تجتمعي معه قبل لقائك بسامر؟؟ ألم تتفقوا سويًا على سقوط الرجل وهجره لزوجته.. أين هو سامر الآن؟؟ هه؟؟ قولي لي؟؟ ألم يمت من الحسرة؟؟ ماذا فعلتي له؟؟

قالت: أنت السبب.. أنت السبب.

قال: نعم نعم.. أخرجي كل ضعفك في هذه الجملة.. لا تتهمي شيطانك واتهميني أنا.. أنا لا أضع فرمانات الشر.. أنا النقاء والخير وأنتي الضلال.

قالت: هل تظن نفسك أشرف مني؟؟

صفعها مرة أخرى بعنفٍ واضح حتى سالت الدماء من بين أسنانها وصرخ: كيف تتجرأين أيتها المعتوهة؟؟ هل تقارني نفسك بي؟؟ بالطبع أنا أشرف منك.. هل تعرفين ما أنتِ؟؟ إنك الخطيئة.. نعم.. كرريها لنفسك وقولي «**أنا الخطيئة**».

حاولت الهروب.. الدماء في كل مكان.. حاولت أن تُسقط اللوحة.. أو تُغير في تفاصيلها.. **قال:** فات الأوان.. هل تظنين أنك لو عدَّلتي تفاصيل اللوحة سأسامحك؟؟ لا.. لقد شوهتي اللوحة.. إنها لوحة سامر.. لقد شوَّهتي وجهه بألوانك فاضطررتُ أن أضع العلامة السوداء.. لن أصفح عنك حتى لو حاولتي تصحيح الخطأ أيتها الفاجرة.

خرجت تجري من المنزل بسرعةٍ لم تنظر حولها وأتت سيارة بسرعة عشر فراسخ من الجحيم وصدمتها.. .سالت الدماء على قارعة الطريق وسقطت اللوحات.. اهتزَّ البيت بعنفٍ بالغ وسقطتْ اللوحات.. كل عشاقها سقطوا.. نعم كانت هذه اللعوب تعشق كل من يرسمهم الزوج في لوحاته.. كانت تعرفهم حتى قبل أن يرسمهم.. كان يرسمهم أطفالًا وشبابًا وشيوخًا حتى تتعلق بهم.. وأحيانًا تغويهم جميعًا إلى طريقها..

سقطت كل لوحات المنزل حين سقطت مضرجة بدمائها الغزيرة.. ولم يجد أحدٌ للزوجِ أثر.. ولم تُقيد القضية ضد مجهول لانه لا يوجد أصلًا من يُقيد َالقضية!!

خارج المسرح:

ياسمين: هذا المؤلف يكره الحياة الزوجية بقسوة.. ما هذه المسرحية الغريبة.. إنها مليئة بالكراهية.

رائد: نعم لاحظتُ هذا.. «**يضحك**» ربما كان محقًا!!

ياسمين «تنغزه في صدره»: اسكت لا تقل هذا.. حياتنا مثالية.

رائد: نعم نعم صدقيني أنا أمزح.. لا أتخيل الحياة بدونك.

في إحدى غرف المسرح:

كان الكاتب يجلس على كرسي يدور حول نفسه بعجلاتٍ.. يشرب سيجارهُ الطويل.. ويقول «**عدِّلوا النص**».. في العرض القادم.. ضعوا اسم «**رائد**».. على اللوحة.. بدلًا من «**سامر**» في المسرحية..

المساعد: هل ستُعدِّل المسرحية سيدي؟؟

الكاتب: نعم سيتم تعديل الاسم فقط.. ولن يتم تغيير الأحداث..

خارج المسرح:

رائد.. رائد.. رد عليَّ يا حبيبي.. ما الذي حدث.

رائد: لا أعرف يا ياسمين أشعر بنغزة في قلبي.. الأم لا أستطيع تحملها..

ياسمين: أرجوكم انجدونا!!!!!.. النجدددددة.

تتذكر ياسمين هذه التفاصيل وهذا اليوم الحزين تمامًا كما تتذكر اسم رائد حبيب العمر.

يضرب جرس الباب..

ياسمين: من أنتِ؟؟ ولكني لم أطلب هذه الوجبة!!

قال: إنها هدية من المحل سيدتي.

خرج من عندها يبتسم في خبثٍ بعينيه الحمراء العريضة التي تنقلب فجأة في منظرٍ يصيبك بالفزع الداهم.. إنه «الكاتب».. نفس كاتب المسرحية.. يلعب دور عامل التوصيل.. هل عرفتم من هو!!!

قال لنفسهِ «**آه لو أستطيع إغوائكم جميعًا.. ولكن هناك من هو أقوى مني.. آه لو أستطيع تدمير العالم.. ولكني سأظل أحاول.. إلى النهاية.. إلى نهاية اللوحات كلها كما ختام المسرحية**».

سلمى في عالم اللا بشر

سلمى فتاة في العشرينات.. بريئة ليست كعادة النساء.. عميقة الأفكار سطحية التجارب.. عيناها المخضرة كأشجار نيسان دائمًا حين تطل على الدنيا تسأل «**هل انشق القمر من جمالي؟**»!!

غرفتها مليئة بالحزن وبالنظام وكأنها تُطبِّق قول ماركيز حين قال إن غرفتهُ منظمة والفوضى بداخله.. جلست تتأمل شاشة الكمبيوتر في إحدى ليالي البرد والحب ولكن ماذا تفعل أيها القدر؟؟ ما هذه البقع الدموية؟؟ أي شيءٍ تُخبأه لسلمى ابنة النور وحسب وجاه وسلطان الحسن والجمال..!!

اللون الأحمر في كلِّ مكان.. تجمَّدت سلمى في مكانها كريشةٍ في يد فنان في لحظةِ استلهام.. وقفت حائرة ما هذا اللون الأحمر؟؟ هل تلك البقعة بقعة دماء؟؟ تحسَّسَت جسدها تحسَّسَت يديها.. لا يوجد أثر لجرح.. هي لا تعرف للجرح مكان إلا مخيم قلبها الشتوي.. فمن أين أتت هذه البقعة المحيِّرة؟؟

مدَّت يدها المرتعشة وكأنها تتذوق تلك النقطة الحمراء.. يا الله إنها دماء.. ما الذي حدث.. ما هذا المشهد المتسلط على نبرة

قدرها الهادئ دائمًا.. لم تتعود على المفاجأة المزعجة والقاتلة للأحلام.. فما الذي تخبأه أيها القدر؟؟

خرجت تجري من غرفتها.. تشد ستائر الصالة وبالصاعقة ما رأت.. أي جحيم هذا؟؟ الشمس حمراء بلون الدماء.. الدنيا باللون الأحمر.. قالَت «**ربي أنجدني من هذا اليوم العاصف.. ربي هب لي من لدنك رحمة.. ربي أخرجني من هذا الكابوس**» تجمدت عروقها كما تتجمد أحلام العاشق في لحظةِ الوداع.. وقفت تنظر من الشباكِ على حال الدنيا الحمراء الغريبة.. ثم خرجت بيأسٍ إلى غرفتها مرة أخرى.. وكأنها مقهورة من سلطة وديكتاتورية الدهشة..

وضعت ملابسها على جسدها النصف عاري في لحظاتٍ وهبطت على درجِ البيت ولم تقابل أحدًا حتى الآن..

«**عم سعيد.. يا عم سعيد**» صاحت سلمى تستنجد بيواب العمارة..

لا يوجد رد.. لا يوجد أحد.. ذهبت لجارتها تضغط جرس الشقة بلا جدوى ولا مجيب.. هل هي في حلم أم في يوم قيامة؟؟ وإن كان يوم قيامة فلماذا هي وحدها من تعيشً واختفى الباقون؟؟

ربما لا يراها أحد أو هي لا تراهم كما في الأفلام والقصص القصيرة؟؟ هل هذا ممكن؟؟ ولكن ما معنى هذا الدم؟؟

أخيرًا وجدت إنسانة.. ما أجمل طعم الإنسانية مرة أخرى بعد أن فقدت الأمل في وجود أي إنسانٍ يُحدثها.. وضعت يدها على ظهرها وقالت «**من أنتِ وأين اختفى الباقون؟؟**».

التفتت إليها في التفاتةٍ مرعبة صُعقت لها كالطير على سلك كهرباءٍ عار وقالت «عرافتك آمنة في خدمتك».

عرافة؟؟ ما هذا الخلل الكوني الكامل؟؟ لم يبقَ في الشوارع سوى عرافة؟؟ أين اختفى بقية الناس؟؟

قالت العرافة: أعطيني كفك يا ابنتي..

استسلمت سلمى لطلبِ السيدة ولكنها سحبت يدها مسرعةً كالبرق حينما وجدت الدماء تسيل من بين عينيها ويدها التي تمسك بها يد سلمى.. لم تستطع الإفلات من قبضتها..

خط العمر على كف يدها امتلأ بالدماء.. التصقت به الدماء اللزجة بشكلٍ مُفزع.. حاولت بقوةٍ أكبر وخرجت من المكان هاربةً.. إنه يوم الهروب الكبير.. لا تعرف من أي شيءٍ تفر سلمى ولكنها تفر من الأماكن ومن العرافة ومن بيتها ومن الشوارع.. أصعب أنواع الفرار هو أن تفر من نفسك إلى حضن عالم خالٍ من البشر والحب والإيمان.. وأجمل أنواع الفرار الفرار إلى الحب وإلى الله..

شعرت بالجوع ولكن كل الطعام على الأرفف تغطيه الدماء.. كل المحلات خالية وخاويةٍ على عروشها ولا تعرف ماذا تأكل.. إنها منهكة القوى وتجري منذ ساعاتٍ تبحث عن

الناس أو تبحث عن حقيقةِ اليوم وحقيقة ولغز الدماء السائلة في كلِ مكان.

سارت وحيدة حتى وجدت مكان يُشبه المقبرة.. بدأت تقترب بحذرٍ يشوبهُ القلق وتنظر بعينيها المرتعشتين كما ضوء الشمعة يتراقص لنسماتِ الليل.. ووجدت إحدى اللوحات مكتوب عليها «**مقبرة الحب**»!!

قالت لنفسها متعجبة: «مقبرة الحب؟ إن مات الحب في قلوبكم أيها البشر فإنه لا يموت في قلبِ العالم.. ».

هربت من المقبرة وظلَّت تبكي كأنها لا تجد الآن حلًا سوى البكاء.. حينما نصل لأعقد لحظات حياتنا وأكثرها اضطرابًا لا يُصبح حينها الدمع اختيارًا بل تصبح مدامع العين طريقًا موازيًا للحياة».

قالت لنفسها «**الدموع تغسل روحي**».. الكل يُبرر لنفسه ويواسيها بهذه الجملة مع أن الحزن ينهش الروح ويفت عضد الأمل مرتين.. تارة بالضعفِ وتارة بالاستسلام.

خرَجت على جانب الطريق رَأت سيارة على جانب الطريق بلا ركاب.. مقاعدها مليئة بالدماء.. .لزجة لا تصلح حتى مكان آمن للنوم.. **ضحكت سلمى بهستيريا وقالت لنفسها:** أمان؟؟ عن أي أمانٍ أبحث؟؟ لا يوجد غيري في هذا العالم؟؟ لقد اكتشفت اكتشافًا أضحكها وأبكاها في مشهدٍ مضحك ولكنه ضحك

كالبكاء.. اكتشفت سلمى أن الأرض حين خلت من البشر فهذا هو قمة الأمان!!

قالت «**ياللعجب.. إنني حتى لا أبحث عن سلاحٍ يحميني.. لقد اختفى الخوف حين اختفى البشر.. من سيؤذيني الآن ولا يوجد سواي؟؟ ولكن بقيَ الحزن حين اختفى البشر.. نعم بقِيَ الحزن وسيبقى.. الوحدة تخلق الحزن وتصنعه من طينتها ومائها بشرًا سويًا حزينًا**»!!

ظلت على حافة الطريق.. جلست بعينيها الزرقاء تنظر لصفرة الصحراء.. اللون الأصفر يختلط مع زرقةِ عينيها مكونًا «**الجنون**».. مشهد أسطوري لا يستطيع أن يفهمه «**سلفادور دالي**» ولا أن يُلحنه «**موزارت**»..

بقِيَ الليل ينهش في جسدها الذي يفكر في النوم ويقاومه العقل.. وما أصعب تَعارض الرغبة الجسدية مع الإرادَة العقلية فتجد نفسك أمام قرار اللا شيء..

جلست سلمى تفكر حتى صباح اليوم التالي.. لم تخرج الشمس من جحرها.. فهي لم تجد القمر أصلًا في اليوم السابق.. اختفت كل المعالم الكونية المعروفة إلا الحزن والوحدة..

حين نظرت إلى يمينها بيأس وجدت كرة من نار تأتي من أول الطريق لا تخيف أحدًا أمامها لأنه لا يوجد بشرٌ غيرها..

استسلمت لهذا الانفجار القادم من اللا مكان.. **وقالت: «أنا هنا أيتها النار.. أنا شهيدتك الغراء فلتختلط بدمائي أيها الجحيم العاري لتكتشف بنفسك من منَّا يشرب من عروق الحقيقة»**.

خلعت ملابسها ووقفت في انتظار لفحة النار.. تلك الكرة الملتهبة الآتية من أول الطريق.. هي لا تعرف مصدرها ولا تعرف ما الذي يحدث حولها ولكنها وصلت للاستسلام.. وليس بعد مرحلة الاستسلام من قراراتٍ بعد أن يكون هو نفسه القرار الأخير..

نظرت حولها نظرة أخيرة.. ولم تجد غير آثار أقدام دماء.. الدماء في كل مكان.. حتى لوحة الطريق مكتوب عليها «**طريق الدماء ٢٥ كيلو**»!!

الدماء في كلِ مكان.. الدماء في كل مكان.. أصبحت أرى من بعده الدماء فيَ كل مكان..

هكذا قالت سلمى لي في آخر مقابلة في المستشفى وهي تحكي لي عن الانفجار الذي مات فيه زوجها وحبيبها.. كانت تبكي أمامي وكأنني رأيت الدماء في قصتها..

تخيلت كل هذه القصة ومشهد سلمى وعالم الدماء حينما روت لي حكايتها وقالت أنها شاهدت زوجها يتمزق لأشلاءٍ أمام عينيها..

قالت: عارف يا معتز.. كإني من ساعتها شايفة كل حاجة دم.. كل اللحظات والدنيا مش شايفة فيهم إلا الدم».

الطبيب «**لو سمحت يا أستاذ انتهى ميعاد الزيارة**».

خرجتُ من المستشفى حزينًا لسلمى.. أتنهد وأركز حولي في كل ملامح البشر كي أتأكد أنهم لا يمتلئون بالدماء.. كي أتاكد أن العالم سيظل مليئًا بالإمان حتى مع وجود البشر وإن كرة النار لن تأتي من بعيد..

ومرت أربعة أيام.. لأفتح التلفاز وأجد الخبر «**انفجارٌ مروعٌ راح ضحيته العشرات ومنظمة إرهابية تتبنى الحادث الأليم**».

ذهبتُ إلى المستشفى مرة أخرى.. قالوا أن سلمى قد فارقت الحياة بعد أن أصيبت بنوبة عصبية حادة وهي تصيح «**الدماء في كل مكان دثروني دثروني**»..

وجلستُ في إحدى الحدائق مالئًا رئتي بهواء العالم النقي وقابلني أحد الأطفال وقال «**عمو إنت ماسك الجرنان؟؟ هو ليه كل يوم في الأخبار إن ناس بتموت بعض؟؟؟**».

قلتُ له وأنا أربت على كتفهِ بهدوءٍ «**كي تخلد قصص مثل قصة أحزان سلمى يا ولدي في تاريخ العالم**»!!

لم يفهم الطفل إجابتي ولم أفهمها أنا نفسي.. ولكني خرجت من الحديقة بعد أن قطفت زهرة وفي عالم الزهور جاء هذا الخبر.

«**عمل وحشي بقطع إحدى زهورنا حية واقتلاعها من الجذور من مجرمٍ من البشر مرَّ بالحديقة**»!!

صدر له:

- آخر أحلام الدانتيل «**نصوص نثرية**» ٢٠١٣
- الضفادع لا تشرب الماريجوانا «**ساخر**» ٢٠١٤
- خمارة الشيخ مرسي «**مجموعة قصصية**» ٢٠١٥
- المسخ يعشق مريم «**رواية**» ٢٠١٦
- بطريقة سينجل لا يأكل السوشي «**ساخر**» ٢٠١٧